Z I A D   K H A D D A S H

قصص

زياد خدّاش

خطأ النادل

@ketab_n
Follow Me
22.5.2015

الأهلية

نصوص

زياد خدّاش

خطأ النادل

@ketab_n
Follow Me

الأهلية

Twitter: @ketab_n

خط النادل

Twitter: @ketab_n

الأهليّة للنشر والتوزيع

e-mail: alahlia@nets.jo

الفرع الأوّل (التوزيع)

المملكة الأردنيّة الهاشميّة، عمّان، وسط البلد، بناية 12

هاتف 00962 6 4638688، فاكس 00962 6 4657445

ص.ب: 7855، عمّان 11118 الأردنّ

الفرع الثاني (المكتبة)

عمّان، وسط البلد، شارع الملك حسين، بناية 34

◆

خطأ النادل / نصوص

زياد خدّاش / فلسطين

◆

الطبعة العربيّة الأولى، 2015

حقوق الطبع محفوظة

◆

تصميم الغلاف: **زهير أبو شايب**، عمّان، هاتف 00962 7 95297109

لوحة الغلاف: سلمان المالك / قطر

◆

الصفّ الضوئيّ: **إيمان زكريا خطّاب**، عمّان، هاتف 00962 7 95349156

All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any means without the prior permission of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه، بأيّ شكل من الأشكال، إلّا بإذن خطّيّ مسبق من الناشر.

رقم الأيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : 2014/12/5952

الترقيم الدولي : ISBN 978-9957-39-056-3

Twitter: @ketab_n

كروان

مات كروان، مات كروان، المتسوّل العجوز، الذي تعرفه أرصفة رام الله، معرفة الله نقاطَ ضعف عباده، نصف ضرير، بنصف مكر، وكثير من النحول والصمت، بعصا غليظة، وشتائم جاهزة، بصوت أعوج لنا نحن أطفال المدينة، حين كنّا نطلب منه أن يصفر كالكروان، كان يمد يده طالباً الثمن، نمد له أيدينا لنعطيه فراغنا، فترغي يده وتزبد عصاه، فيطوح العصا بحركات عشوائية تصيب أحياناً قدم أحدنا أو رأس آخر.

مات كروان، مات كروان، قفي يا رام الله دقيقة اعتذار وذهول لغياب كروان، أما أنتِ يا جراح يدي، فانحني دقائق كاملةً من الألم احتراماً لعصا المتسول الفنان.

مات كروان، مات كروان. لا أعرف اسم كروان، أو بلده، لا أعرف كم مرة كان يضحك في اليوم، لكن بموته مات شيء داخلي، جزء من رام الله اختفى، نقص الشارع أغنيةً، نقصت الأغنية لحناً، سقط نصف اللحن، عرجاء يا

Twitter: @ketab_n

رام الله، عرجاء وضريرة دون عيني كروان نصف العمياوين، ودون قدميه نصف الناهضتين.

معلماً كان كروان وممراً لأقدامنا العبثية السريعة والمراهقة وسبباً لضحكاتنا ونكاتنا ومبعثاً لتأويلاتنا وفلسفتنا، لكن علاقتنا به اختلفت فيما بعد، لم يكن يتكلم، كان يهمهم، كان يَحدث أن نقف إلى جانبه صدفةً كأننا نقف قرب جدار أو سيارة، نحكي لبعضنا عن أسرارنا العاطفية وترتيبات وطنية مثل توزيع بيانات أو كتابة الشعارات على الجدران، ظانين أنه لا يسمع ولا يفهم، لكن توقعنا انكسر، كان كروان يفهم ويرى ويعرف ويقارن ويحلل ولا يتحدث. مرة وبشكل مفاجئ صعقني وهو ينفجر في وجهي: «إنساك يا ولد من صاحبتك، بتخونك مع صاحبك أبو شعر». ومرة أخرى: «صاحب المحل اللي إقبالكم بسب عليكم في ظهوركم لما تطلبوا منه يسكر محله في وقت الإضراب. انتبهوا له. يا هُبل». ومرة أخرى: «في جيش في الإرسال انتبهوا يا أولاد».

Twitter: @ketab_n

صار كروان دليلنا وصديقنا ومحللنا، نضجنا بفضله بسرعة وقفزنا نحو ربوة أسئلة الحياة المبكرة وعرفنا مأساة البلاد بسرعة. سأكتب يوماً ما عن غرباء المدينة الغامضين، عن متسوليها ومعتوهيها، فذاكرتي تنز بهم، بملابسهم، وروائحهم، وتقزز أصحاب المحال منهم، وظلالهم المنكسرة والهادئة على حيطان العمارات، وأحذيتهم وصمتهم وصبرهم على شتائم الصبية، وأصواتهم الضائعة والوحيدة، وأرغفتهم المحشوة بحبتي فلافل يابستين، وخجلهم وخوفهم وانسحابهم في آخر الليل إلى بيوت مهجورة أو كهوف قريبة في الجبال المحيطة بالمدينة، وسخرية وخوف المارة منهم، وريبة جنود الاحتلال تجاههم، سأكتب عن البرد المقدس الذي كان ينام بجانبهم، وعن حزنهم الناضج الذي كانوا يتغطون به.

سأكتب عن كروان صوت المدينة القتيل.

Twitter: @ketab_n

شجر

«أنتما لستما أنتما، لستما تلميذتين، أنتما طائران متنكران بزي تلميذتين في الصف الرابع، هيا اعترفا، أين تخفيان أجنحتكما، في حقيبة المدرسة أليس كذلك؟».

وتضحك التلميذتان المارتان قربي واللتان لا أعرف اسميهما، متفاجئتين من غرابة القول وسحريته، تضحكان بغزارة أمام وجهي مباشرة، وترفرفان بأيديهما الصغيرة، وتمضيان إلى المدرسة، وهما ترفرفان، وأمضي أنا إلى مدرستي إلهاً للرفرفة والضحك.

بعد سنين من الرفرفة والضحك، كبر الطائران المتنكران، صار الجناح طويلاً والمدى أمامهما أوسع مؤثثاً بالمخاوف، لكن كلماتي ظلت طفلة.

لم يعد الطائران يضحكان، تحولت الضحكات إلى همهمات ابتسام مرتعبة وباردة، وصار الطريق إلى المدرسة، طريقاً إلى وصايا الأم والمعلمة، لم تعد أيديهما ترفرف، صارت مساطر من خشب.

Twitter: @ketab_n

لكن كلماتي الغريبة ظلت طفلة شريدة في الطرقات تتجول جائعة ومنهكة، تبحث عن ضحكات الأطفال ورفرفات أيديهم، لتصير لديها عائلة جديدة.

غداً سأمر على شجرتين في حقل الزيتون القريب من مدرستي سأقول لهما:

أنتما لستما أنتما، أنتما ضحكتان مبلولتان لامرأتين خائفتين متنكرتين في زي شجرتين في حقل.

أرغب في عائلة من شجر أيضاً.

أختي

المشكلة أحياناً في فقر الكلمات، يا ألله، كيف أقول لشجرة الأكادنيا: أنت أختي، أختي، أختي.

المشكلة أحياناً في فقر الحياة، كيف أعتذر لقوة الكلمات عن فقر الحياة، كيف أدسّ المدينة المنخفضة في ضوء اللغة العليا؟.

Twitter: @ketab_n

فراق

أن أقف في ذروة حبنا، بذهول أمامك في زاوية شارع مسائي، مادّا يديّ الاثنتين نحو خصلات شعرك، رافعاً إياها خلف أذنيك، وضامّاً وجهك المستسلم بين كفيّ.. ذلك هو أسلوبي في الاعتذار لك ولي عن فراق قادم.

طفل

أجمل المناظر المقدسة والملائكية التي شاهدتها عيناي هو مشهد طفل صغير يطل برأسه باكياً من سيارة والده المارة ببطء من جانبي، كأنه يوزع شتائمه ونقمته على الشوارع، التقت عيني مع عيني الناقم الصغير، أخرجت لساني له مناكفة، فازداد وجهه دموعاً ونقمةً وكراهيةً لي وللعالم، لكني حين تظاهرت بالتعثر بحائط محل تجاري، انفجر وجهه ضحكاً مشعاً. هذا الانتقال السريع من البكاء إلى الضحك سحرني.إلهي، كيف أنسى ذلك الوجه الصغير الضاحك المنفجر من طين الغضب؟

Twitter: @ketab_n

حكايات

والآن، لمن سوف تروين حكاياتك المجنونة يا جميلتي؟ أنت التي ترتكبين الحكايات غير المفهومة لهدف واحد: أن ترويها لي! وما قيمة حكاياتك إن لم تتبتل بنكهة دهشتي الحزينة، وطعم غيرتي المخفية بإحكام خلف حكمة رجل خمسيني هش.

باريس

أجمل أفعالي اليوم: ابتسمت في وجه شرطي وحيد يحرس منزل وزير، ساعدت أطفال المخيمات الفقراء في القفز عن سور قصر الثقافة ليشاهدوا مهرجان رقص، اعترفت لصديقة لي: أحبك حتى باريس.

Twitter: @ketab_n

نسر

لأكون نسراً يعشق الجبال والهواء الأزرق البارد عليك أن تكوني فراشة تركضين خلف الحرائق، مهمتي أن أدمر حرائقك بهوائي البارد، مهمتك أن تكسري علوي بهوائك الساخن، مهمتانا أن نغير قوانيننا ونتمرد على طبيعتنا ودورنا التاريخي، أعطني نصف فراشيتك وخذي نصف نسريتي. علي أن أتوقف عن غطرستي، عليك أن تخففي من براءتك وموتك. وهكذا نحوز على رضا الله، الذي ينتظر من مخلوقاته دائماً كسرهم للمتوقع منهم.

قرض

ذهبت إلى البنك لغرض أخذ قرض صغير، سلّمني الموظف طلباً لتعبئته، حين هممت بكتابة اسمي فوجئت بأني نسيته هناك، لم يصدقني الموظف حين قلت له إني نسيت اسمي بالقرب من موجة على شاطئ عكا أمس، ظنني مجنوناً.

Twitter: @ketab_n

- جلست على صخرة، وقررت فجأة أن أسبح بملابسي لأني أخجل من بدانتي، أخرجت بطاقة هويتي واسمي ووضعتهما على حجر صغير بالقرب من موجة صغيرة خفيفة، وحين خرجت من البحر، كانا قد اختفيا.

استغرب الموظف

- لكنك تبدو سعيداً وتتكلم وأنت مبتسم. كأنك غير غاضب على البحر الذي ابتلع هويتك واسمك.

- بحر عكا لم يبتلع هويتي واسمي، هو استرجعهما فقط.

سائق

في الحلم استرخى وجه امرأة على كتفي لأمرّر لها حكاية وتنام، في الحياة، في سيارة الأجرة تحديداً هزّت امرأة كتفي لأمرّر لها أجرة السائق.

Twitter: @ketab_n

موكب

«يا شوتير، يا شوتير مشان الله بدي أروح على الحمام يا شوتير».

كنت كلما مرّ موكب من أمامي في شوارع رام الله ينفجر داخلي صراخ الطفل الفلسطيني (13 عاماً) الذي تركته محبوساً في زنزانة بجانب زنزانتي، صارخاً على حارس الزنزانة متعرضاً لانحباس مقصود في مثانته الصغيرة.

تلك كانت وما زالت مأساتنا الكبرى: مواكب فخمة ومثانات صغيرة وكبيرة محبوسة.

يافا

أسمع طرق الباب، أخرج من نعاسي وأسأل:

- من بالباب؟

- أنا يافا. يرد صوت.

Twitter: @ketab_n

أنهض سعيداً وسائل اللعاب، فيافا حتماً فتاة جميلة، جاءت تسأل عن كتاب أو متنفس لسُباب.

لا أحد وراء الباب.

يتكرر الأمر مئات المرات في اليوم.

في الليل أحلم بهاتين الجملتين:

ليست البنات وحدهن من يطرقن الباب.

المدن البعيدة والجميلة تدق أيضاً الباب.

متسول

أريد أن أقف أمام امرأة ما جميلة في الشارع وأقول لها: أنا أحبكِ، لا أريدها أن تسمعني، لا أريدها أن تراني، أريد للضباب أن يبتلع ملامحي، ويأخذها إلى محرقته البيضاء، وأريد للريح أن يخطف صوتي ويأخذه إلى مدفنه السري، أريد أن أقول لامرأة ما في الشارع: أنا أحبكِ، أريد ألا يسمعني أحد، سوى متسول شاب يجلس على الرصيف،

Twitter: @ketab_n

قذر الملابس، ثمل، نصف نائم، يسيل من فمه زبد، وفي يده خرقة ملابس، يمسح بها زجاج السيارات. أريده أن يصدقَ أنهّ يحلمُ الآن بصوتهِ وملامحه منتصباً في الشارع أمام امرأة ما جميلة، ويقول لها: أنا أحبك. أريدها أن تسمعه وتراه.

زيت

أمامي، بالضبط أمامي، كان الشاب الفلسطيني الأعرج ذو النطق المتعثر والملابس الفقيرة يقف أمام مجندة إسرائيلية (في معبر قلنديا)، تجلس خلف زجاج سميك، المجندة المتوترة تشير إلى وعاءَي زيت أصفرين، كانا يجلسان خلف الشاب بصمت بانتظار التحقق من هويتهما.

- شو هاي؟
- هذا زيت.
- شو يعني زيت؟
- يعني زيتون.
- شو زيتون؟.

Twitter: @ketab_n

- يعني زيت.

- شو زيتون وزيت؟ «إنت هبلة» صاحت المجندة من خلف الزجاج، لم ينطق الشاب، وأظنه كبت غضبه لأنها وصفته بهبلة لا أهبل.

خلفي انفجرت حنجرة عجوز فلسطيني: قُللها إنه زيت يعني فلسطين يا ابني. لم يقلها الشاب طبعاً، بل قالها صدى الصرخة التي هزت أركان المعبر.

ابتسم وعاء الزيت. سكت صوت المجندة، ولم أذهب أنا إلى القدس.

ألوان

الحب: هو أن أتمادى في فشلي باختيار ألوان ملابسي، فيتجاور مثلاً البنطال الزيتي مع القميص البرتقالي، فتغضبين أنتِ (يدك تفضحني؟)، وتجرّينني من يد ذهولي إلى محل ملابس، بكامل جهلي الرائع أقف كتلميذ في صف جمالك المثقف، وبكامل حرصك الملائكي تتحركين هنا وهناك

Twitter: @ketab_n

تتأكدين من حجم البنطال وتجننين بكارة القمصان الخجولة وأنتِ تتحسسين قماشتها، بينما أكتب أنا تفاصيل الدرس في دفتر القلب.

غضب

كنت أريد أن أكتب: سأذهب الآن لأشرب كأس نبيذ، وحتى لا يغضب مني طلابي سأكتب: سأذهب لأشتري قلامة أظفار، غداً سألتقي في «زرياب» امرأةً من خرافة، وحتى لا تغضب مني زوجتي سأكتب: غداً سوف ألتقي في «زرياب» صحافيةً ذكية.

بعد أسبوع ودفعة واحدة سأتخلص من جبني وأمزّق قناعي، سأغضب من فلسطين وربما أشتمها علناً لأنها شغلتني عن عد شامات جسد صديقتي الرهيب.

Twitter: @ketab_n

شمس

قادماً من سورية- مجدل شمس، وفي الحافلة القادمة مبكراً جداً من الخالصة إلى القدس (يسمونها كريات شمونة) جلست أربع ساعات بجانب جندي إسرائيلي، في حضنه كانت تستيقظ من سباتها بندقية، في حضني كانت تنهض من نومها بلادي.

مصطفى

وسط رام الله وجهاً لوجه قابلت مصطفى وصديقه، كان مصطفى تلميذاً عندي في الصف السابع قبل أن تقرر الوزارة أنه لا يصلح ذهنياً ليكون طالباً في المدرسة، فيما بعد عرفت أنه يدرس في مدرسة لذوي الاحتياجات الخاصة في قرية (أبو قش). لم تكن مشكلة مصطفى ذهنية تماماً، كان شخصاً يقول للمعلمين أشياء (غير مؤدبة) مثل: «أستاز ليش منخارك كبير؟» «أستاز إنت ليش ما بتغير بنطلونك؟» «أستاز ليش بتدخن والدخان بمرضك؟» «أستاز شو اسم جوزتك (زوجتك)» «أستاز شو طبخت جوزتك اليوم؟»

Twitter: @ketab_n

«أستاز ليش أسنانك وسخين؟» «أستاز ليش ضربت أيمن مش حرام عليك؟». «أستاز ليش أسنانك زي الأرنب» «أستاز ليش لونك بني» لم تكن أسئلة مصطفى غير مؤدبة، كانت حقيقية ونظيفة وطبيعية وصادقة جداً ولا تحمل أحاسيس مسبقة أو حمولات خبث، كان مصطفى طفلاً كبيراً يحتاج إلى مدرسين مختلفين ليعرفوا لغة قديس صغير سقط بالخطأ من كوكب القديسين على مكان كاذب ومخادع وجبان. صباح الخير لمصطفى وصديقه، قديسَي صباحي.

مصافحة

لم أُحبه يوماً ما، لم أُعلق صورته على جداري بجانب صورة عبد الناصر، لم أسعَ يوماً إلى مصافحته، ويوم زار صباحاً ما مؤسسة كنت بالصدفة فيها قفزت من النافذة هارباً، وحين مر موكبه مرة من أمامي في الشارع كدت أرشقه بحجر، كنت أضحك على ألفاظه المضطربة وأخطائه النحوية المضحكة ولحيته الشعثاء. وحين فجأة مات جميلاً وشهيداً، علقتُ صورته على جداري، وصافحتُ يده فيها

Twitter: @ketab_n

ألف مرة، وذهبتُ إلى المؤسسة التي هربت من نافذتها، قدمت طلباً لوظيفة فيها وجلست مراراً على المكتب نفسه الذي جلس هو عليه، وصرت أشرح لطلابي عن جماليات وضرورة الخروج عن النحو أحياناً، وأطلقت لحيتي وجعلتها شعثاء.

أرجوحة

«كان هون في بيت فيه أرجوحة» قالت ونحن نمشي أمام عمارة عالية جداً. «كان هون في بيت في حاكورته دجاج بلدي وبط». قلت ونحن نقف أمام بنك. كان هون «في عجوز لطيف ودايماً مبتسم وقاعد في شرفة بيت» قالت ونحن نمسك يدي بعضنا قرب مؤسسة أمنية، بحثنا طويلاً، ولم نجد الشرفة والأرجوحة والبط والدجاج البلدي والحاكورة والعجوز اللطيف. وكان هناك الكثير من البنوك والمؤسسات الأمنية والعمارات العالية.

Twitter: @ketab_n

سادسة

إلى أين تذهب جميلات رام الله في السادسة صباحا؟. يا لعذوبة أسرار المدن التي تمشي فيها الجميلات في السادسة صباحاً! ويا لوحدتي التي تمشي في الطابق السادس من مقهى صغير يمشي باستمرار في مدن الدخان والضجر والأغاني والبرد!. يا جميلات رام الله: صباح الحب والسر والسادسة.

فيضان

على منحدر مستوطنة (بسغوت) أراقب الآن هذا المشهد من نافذة الصف الثامن: مستوطن يحاول قطف كوز صبر، من نبتة صبر موغلة ألواحها في الرسوخ والشوك والخضرة، كلما حاول قطف الكوز لسعته أشواكه، فترتد يده إلى الوراء متذمرة وغاضبة، صعد المستوطن المنحدر إلى مستوطنته خاوي اليدين وعدت أنا إلى طلابي ممتلئاً بحلاوة الأكواز التي وزعتها عليهم كوزاً كوزاً، وسط ذهولهم من مصدر هذا الفيضان من الحلاوة المفاجئة.

Twitter: @ketab_n

أنا

أنا صديق حميم لشجرتيّ رمانٍ وتين، نسكن ثلاثتنا في المكان نفسه، أنا داخل البيت وهما داخلي، كل صباحٍ أخرج مني وألمسهما، أؤمن بأن شجرة الرمان هي (ديونسيوس) حياتي، أما شجرة التين فهي (أبولو) عمقي الهادئ المتشح برزانة القرار وحكمة الشعور.

تأخذني رمّانتي إلى ماء ضلالي بينما تعيدني تينتي إلى بيتي «فيما لو تأخرت عنه»، مقيد القلب، مخفور الحس، تطعمني الشجرتان ثمارهما كل عامٍ بسخاء، وأطعمهما أنا حكاياتي وحزني وغنائي ورائحتي كل ليلة، أحب هذه الحياة الموزعة بين طيش الرمان ورزانة التين، أحب حياتي مع كائنين مخلصين يرتاحان داخلي مثل سرّين مخمليين، مرفهين وأرتاح داخلهما مثل قطٍ هرم.

الخبر المزعج أن الثلجة الأخيرة خلعت السرّين من الأرض وألقتهما حطاماً أمام بيتي، صرت الآن بلا أبولو أو ديونسيوس، بلا اتجاه، بلا تناقض، بلا مدنٍ قلقةٍ وأخرى مطمئنة، لمن سأطعم حكاياتي بعد اليوم؟ وأي كائنٍ يستحق

Twitter: @ketab_n

أن أهديه كل هذا الحرير «حتى لو كان مكسوراً» الذي يفيض من نوافذي؟.

ابن الأشجار المكسورة أنا.

باب

طرق خفيف على بابي؟ من سيجيئني عند حافة عاصفة وكتاب وليل؟ طرق خفيف على بابي، لم أفتح الباب والكتاب، لم تعصف العاصفة بعد، قعدت في قلب صمت، فتحت باب روحي، أصغيت، برهافة أصغيت، لم يكن أحد خلف الباب، إنها ذاكرة الباب، كانت فقط مستوحشة تتذكر.

امرأة

لمن هاتان العينان المخيفتان يا ألله، مثل شخص هارب من مشفى في منتصف زيارة ومرض، كانت المرأة الغريبة تنهب شوارع رام الله في تمام الجنون والسادسة

Twitter: @ketab_n

صباحاً، كانت تمشي بخطوات سريعة ومتعثرة، ولا كلام يصدر عنها. كنت هناك وبائع الكعك وسائق سيارة أجرة وشرطي ضجر، وصراف متجول، وحدنا نمارس أقدارنا وحاجاتنا، جمعتنا امرأة غريبة وزمن.

عم تبحثين يا امرأة، هل نستطيع مساعدتك؟ سألها الصرّاف المتجول في السادسة صباحاً.

أجابت خطواتها مزيداً من السرعة والتعثر، أما عيناها فأجابتا كثيراً جداً من البحث المتوتر عن شيء لم نعرفه، مشينا معها، وجدنا أنفسنا نبحث معها عن الشيء الذي لا نعرفه، لم نجد شيئاً. لم تجد هي شيئاً. لا أحد وجد أي شيء.

تفرقنا في لحظة تعب يائسين،لم تتفرق هي، ولم تيأس، راقبتها من بعيد، تحرث شارع (الحسبة) بعينيها الجائعتين لرؤية شخص أو شيء ما هارب منها أو هي هاربة منه.

يا للتعب في عيون امرأة تبحث بصدق فاجع عن شخص أو شيء هارب منها!.

Twitter: @ketab_n

في بيتي قبل لحظات بالضبط تلفّت حولي بإحساس غامض لم أفهمه تماماً، كنت أعي فقط شبح رغبة داخلي بالبحث عن شي أو شخص، هارب مني أو أنا هارب منه.

- ما الذي تبحث عنه أيها الخمسيني؟

لم أسمع سوى لهاثي.

سقف

ما حيرني هو السقف الثاني الصغير المنحني قليلاً على سرير غرفتي في الفندق الطويل.كأنه سيسقط بعد قليل على وجهي، ما حيرني أكثر هو الباب الخشبي الذي يتوسط السقف الثاني «أتتزوج السقوف في هذه البلاد وتنجب أبواباً»، من يدخل من هذا الباب؟ وماذا لو طرقته الآن يدٌ ما،كيف أفتحه له؟ وماذا لو فتحته، كيف سيدخل طارقه؟ إلى أين سيدخل-يسقط؟ أعلى وجهي؟ وماذا يريد مني؟.

ما خلع النوم من عيني هو صوت أمي الذي هطل فوق وجهي فجأة وأنا أندس مع أشقائي في فراشنا، تحت

Twitter: @ketab_n

سقف الزينكو في غرفتنا الصغيرة بالمخيم، أوائل السبعينيات، ما زلت أذكر صوتها وهي تتمتم بصلاة أو دموع، وهي تلهينا بالرقص والذرة المقلية والدغدغة المفاجئة، بينما غضب الرب والعالم يدق سقفنا الحديدي المتحرك. في دبي اكتشفت أن لدي عقدة سقف.

ملل

هذا المساء وضعتُ مستعجلاً وبدافع الملل لا الشفقة قطعة معدنية صغيرة جداً في راحة يد امرأة متسولة.

وفيما أنا أدير ظهري لراحة يد المرأة سمعتّ صوتاً غامضاً يشبه طفولة ناي ياباني مكسور ومدلل يصدر عن المرأة، فظننته دعاء لي بالتوفيق وراحة البال،توقفتُ عائداً إليها، طالباً منها إعادة دعائها، الذي لم يكن دعاء، ابتسمتْ فظهرت بقايا فراغ بهيج بين سنين من أسنانها الأمامية الصفراء، وطار عقل الطريق،نصف دقيقة من النّظر المركز لليد والأسنان والابتسامة، كانت كفيلة بأن تفاجئني بأن راحة هذه المرأة هي التي وضعتْ في راحة شهقتي أوائل

Twitter: @ketab_n

السبعينيات، أول حروب جسدي، مشتْ مشعلة أولى حروبي في طريقها.

انحنيتُ لرائحة ظلها غارقاً في حرب ذاكرة.

انكسار

أذكر تماماً لحظة انطلقت شرارة انكساري الأولى، كنت أهبط درج الروضة مسرعاً مطأطئ الرأس، والأطفال الآخرون بالعشرات خلفي يسخرون مني ويصيحون: خرابيش الدجاج، خرابيش الدجاج. كانوا يسخرون من خطي التعيس الذي لقّبته المعلمة بخرابيش الدجاج.

منذ تلك اللحظات على درج الروضة انطلق قطار انكساري.

فيما بعد وعلى مدى العمر الذي ما زال يرن، صرت كلما أكلتُ دجاجاً أسمع داخلي هديرَ قطار.

Twitter: @ketab_n

القدر رتب لي، أمس، صدفة غريبة، مررتُ على صديق أعوده بالمشفى، كان قربه مريض آخر لا أعرفه، تعرف هو عليّ.

- «أستاز زياد إحنا كنا في روضة (خليل الرحمن) في أوائل السبعينيات، أنا أتذكرك جيداً، كان الأولاد في الساحة يلحقونك وينادون عليك: خرابيش الدجاج وكنت أنت تبكي، وأنا كنت أحكي للمديرة وكانت المديرة تعاقبهم».

لم أتذكر ساجي بالطبع واستغربت حدة ذاكرته.

مات منقذي من سخرية زملائي في اليوم الثاني من لقائنا، شاركت في جنازته، وسمعتُ مصعوقاً شخصاً يقول لآخر قربي، بينما نحن نمشي إلى مقبرة:

- كان الله يرحمه في صفي في الروضة كان خطه بشعاً جداً، وكانت المعلمة تحكي عنه زي خرابيش الدجاج. والأطفال في الساحة يلحقونه ويسخرون منه وكنت أنا ألحقهم وأضربهم.

Twitter: @ketab_n

عناق

عودني أبي أن يعانقني بحرارة كلما قرأت كتاباً، تحوّل الأمر فيما بعد إلى رغبة في قراءة كتب جديدة استعجالاً لعناق جديد.

الآن وبعد أكثر من أربعين عاماً من الاحتراق بنار الكتب اللذيذة، ما زلت أتلفّت حولي كلما أنهيت كتاباً ما، فلا أجد أحداً، فأضم جسدي بيدي، مغمضاً عيني، متخيلاً عناق أبي لي.

أمشي بهدوء أمام رفوف مكتبة عامة أو خاصة، ألمس الكتب بيدي أو عيني فأرى في الزاوية أباً ثمانينياً يعانق كهلاً أربعينياً.

خروج

أصحو مبكراً، أخلع ملابس النوم بسرعة، وأرتدي ملابس الخروج، أتهيأ لشخص ما لا أعرفه سيأتي بعد قليل ويفتح الباب بثقة صاحب البيت كلها، يفاجأ بي، وأفاجأ به:

Twitter: @ketab_n

- ماذا تفعل هنا؟ يسألني.

- ماذا تفعل أنت هنا ؟ أسأله.

في لحظة ما غامضة أضعف، وأخرج، معتذراً له عن صحن كسرته بالخطأ أمس.

أضيع في المدينة بحثاً عن بيت أتوهم أنه بيتي، أدخله بأمان، وأغادره معتذراً بارتباك حين يعود صاحبه إليه.

ليل

طرق خفيف على بابي؟ من سيجيئني عند حافة عاصفة وكتاب وليل؟ طرق خفيف على بابي، لم أفتح الباب والكتاب، لم تعصف العاصفة بعد، قعدت في قلب صمت، فتحت باب روحي، أصغيت، برهافة أصغيت، لم يكن أحد خلف الباب، إنها ذاكرة الباب، كانت فقط مستوحشة تتذكر.

Twitter: @ketab_n

شارع

لم يسألني أحد في الشارع عن الذي حدث؟ لم يقترب أحدٌ ليلمس بعينيه تفاصيل الواقعة، لم يتعاطف معي أحد، لم يشفق على ساقيّ الآيلتين للبكاء عاملُ بناء مجاور، لم تتوقف الصيدلية القريبة من فمي عن بيع المهدئات، لم يخفّف موكب الرئيس من سرعته، لم يُشر طفلٌ يمسك بيد أمّه نحوي، لم تقع جريدة من يد رجل رأى الذي حدث، ولم يتصل أحد بالطبيب أو الصحافة أو الله أو أصدقائي المقربين أو أبي، لم تتوقف المكتبات عن بيع (قواعد العشق الأربعون)، لم تتوقف يدا شرطي السير عن الحركة، لم تتوقف السيارات عن الاستجابة ليديه، لم يطر الحمام من صخب الحادثة، لم تغلق المدارس أبوابها، ولم يتوقف مدرسو الجغرافيا عن الثقة بالسبورة والطاعة والعصا والخارطة.

كل شيء في رام الله واصل وجوده، إذ ماذا يعني أنّي رأيتك في الشارع؟

Twitter: @ketab_n

ثلج

خشخشة أقدام أبي البيضاء فوق الثلج اليابس أمام عتبة بيتنا في أوائل السبعينيات وعلى إيقاعها كنت أغرق في نوم أبيض طويل، كان أبي يسهر في المقهى حتى ساعة متأخرة من الليل، وكنت أتخيل كلاباً ضالة تهاجمه وتأكله بينما هو عائد إلينا.

الرجل الخمسيني لم يعد ينام بهدوء وعمق، فالكلاب ما زالت تنبح في الخارج، ولا خشخشات أقدام بيضاء وراء بابه.

دموع

على الرصيف كان يجلس بملابس العمل، شاب في العشرين، ثملاً كان وجهه بالدموع واللهاث، الوقت ليل متأخر، وأنا المتأخر دوماً، عائد إلى بيتي من حفلة سكر، هل أستطيع أن أساعدك يا أخي؟ كان الرد صمته والدموع، هل تحتاج إلى علبة سردين مثلا أو... .

Twitter: @ketab_n

صمت ودموع، هل أغضبك أحد ما؟ صمت ودموع، وفجأة انتبهت مصعوقاً إلى العمارة العالية خلف الشاب، كأني لأول مرة أراها، كانت عالية جداً جداً جداً، لدرجة أن عيني زاغتا وأصابتني دوخة، انخفضت ببصري إلى الأسفل، كان العامل قد اختفى، جلست على الرصيف مكانه تماما، وبدأت باللهاث والبكاء

سعادة

أمس مساءً اكتشفت معنى جديداً للسعادة: أن تبتسم بحب وسخاء في وجه امرأة عمياء وفقيرة وقليلة الجمال، وهي تسألك في الشارع عن أقرب صيدلية، تمد يدك ليدها، وتمضيان معاً في درب الحزن السعيد، تأخذها أنت إلى دوائها، وتأخذك هي إلى الإنسان فيك.

يد

الوحدة هي أن أقطف وردة بيدي اليمنى لأهديها ليدي اليسرى.

Twitter: @ketab_n

خيانة

علامتان إضافيتان مني (لا يحتاجهما أصلاً) في كل امتحان لحفيد المرأة الأولى التي أحببتها في حياتي، تلك هي طريقتي البائسة والصغيرة، للتعويض عن خيانتي الفظيعة لجدته قبل 30 عاماً.

قلب

لأن غيمة قالت لي وهي تلعب الغميضة مع شمس على سطح بيتي: لا تذهب اليوم إلى المدرسة، كان هذا ردي على سؤال مديري على الهاتف: لماذا لم تحضر اليوم يا زياد إلى المدرسة؟

تعودت منذ طفولتي البعيدة أن أصدق كائنين فقط: أمي والغيمة. أمي لأن لها قلب نبي، والغيمة لأن لها قلب إله. أغلق المدير الهاتف في وجهي، وفتحت الغيمة لي قلب العالم.

Twitter: @ketab_n

حب

عند الشجرة السابعة تماماً، انعطِف يميناً، هناك تقع مدينتك، أجابني رجل سبعيني أعرج، رداً على سؤالي له: يا عم، هل تعرف أين تقع مدينتي؟ مشيت باتجاه مدينتي التي أبحث عنها منذ سبعين عاماً، حين حاذيت الشجرة وقفت قليلاً أتأملها، فبهرت، إلهي، إلهي، هذا ما كنت أبحث عنه: الشجرة السابعة، هل كانت المدينة ذريعة لا واعية أو استعارة مكبوتة؟ هكذا تماماً يحدث الحب.

مخيم

في مخيم جنين مات شخص تسعيني مناضل قديم وطيب اسمه أبو عدوان.

في اليرموك خرج الناس في جنازته ودفنوه في المقبرة الشمالية.

حين أراد صحافي شاب أن يذكر مكان دفنه، كتب: وقد دفن أبو عدوان في المخيم.

Twitter: @ketab_n

حزن

حزين هذه الليلة وأنت جميلة جداً.

صباح

رفيقة صباحاتي الصامتة، لا يلفت انتباهها أحد أو شيء، إلى الأمام دوماً تحدّق، تلميذة سمراء بمريول مدرسي، وساق واحدة، رأيتها هذا الصباح تحدّق أخيراً بشيء: عمود كهرباء منحن على الأرض، رأيتها تجلس وتحفر تحت العمود المخلوع، هل كانت تبحث عن دمه أو لحمه المفتت، أو آهة انخلاعه المدوية؟.

بيدها الصغيرة كانت تتحسس ساقها الوحيدة.

منذ الصباح وأنا أصغي مستسلماً إلى معاول غامضة تحفر تحت قلبي.

Twitter: @ketab_n

غزة

اعتراف: أول امرأة أحبها كانت من غزة، وقد أهديتها أقرب الكتب إلى قلبي (خذيني إلى موتي).

وعد: المرأة التي سأحبها بعد الحرب ستكون من غزة، وسأهديها أقرب الكتب إلى روحي، عنوانه (خذيني إلى بلادي)

ثلاثة

نتفق على أن نلتقي صباحاً في مقهى (ركب) وحين لا آتي تظنين أني كالعادة ما زلت في البيت أعدّ نص يديّ وشجاعة عينيّ، ثلاثة فقط يعرفون حقيقة ما كان يجري: الله وشجرة الصنوبر على طرف الشارع، وأنا.

مهمتي الآن أن أقنعك بما هو أجدى وأمتع من المجيء إليك: أن أتلصص عليك وأنت تخنقين رقبة الزمن بقلق عينيك، وأتلذذ بمضغ حسرة المارة وهم يلتهمون هيئتك ويتمنون أن يكونوا ذلك الذي سوف يأتي.

Twitter: @ketab_n

فيروز

عصفور يقف في الصباح الباكر على غصن شجرة، فيما يشبه جساً لنبض البيت الجديد، تبتسم الشجرة، فيطير العصفور فرحاً، ويعود مع عشرات العصافير، يتوزعون على الأغصان، رجل تسعيني يتقدم ببطء ليقلّم شجرة قريبة جداً من شجرة العصافير، صوت التقليم مع صوت العصافير مع صوت فتح نوافذ البيوت، يوقظ في الغيوم حس الرغبة في الانهمار، مطر ناعم يسقط، يبتسم العجوز، لا تطير العصافير، يسرع آباء وأمهات وأطفال نحو النوافذ، تفتح طفلة صغيرة جداً النافذة وتشير مندهشة لأمها نحو العصافير المبللة، والعجوز السعيد.

من فرط الحماسة تسقط البنت الصغيرة جداً من النافذة، فيسرع نحوها عصفور وغصن يتلقفانها ويعيدانها إلى نافذة أمها المذهولة، في تلك اللحظة بالضبط، تدس أمهات نشيطات في بيوت مجاورة للشجرة ساندويشات الزيت والزعتر في الحقائب المدرسية لأطفالهن الذين يقفون أمام الأبواب باندفاع منتظرين حافلة المدرسة،

Twitter: @ketab_n

تشرب الأمهات في الحارة الشغب الخفيف للتلاميذ في الحافلة التي تختفي رويداً رويداً مع تحرك الحافلة، ويختفين داخل البيوت بعد أن يحكمن إغلاق الأبواب خوف غريب أو لص أو برد.

الحافلة ستمر كما كل صباح على جامع قمامة خمسيني بلا أسنان، سيلّوح له الأطفال كالعادة، سيبتسم بحب كبير لكن بلا أسنان، في البيت على مائدة العشاء سيكرر الأطفال القول للآباء: بابا اليوم شفنا الزلمة اللي بدون أسنان، وحكينا له: باي عمو، وصار يضحك من بعيد كثيراً.

هذا ليس سيناريو فيلم قصير وليس خاطرة أو قصة أو قصيدة.

إنه بالضبط إحساسي الهادر بالشجر والنوافذ والأطفال والطيور والمطر حين تغني فيروز.

Twitter: @ketab_n

مسبح

حولي يهدر الآن ماء يضخه جيراني الأثرياء في مسبحهم، داخلي تهدر الآن أفكار وهواجس يضخها ذهني الفقير في مسبح الحياة. ما أجمل أن أبدأ صباحي من صفر الإحساس وفراغ الفكرة، تماماً مثل طفل ولد للتو،حد أن أطلب من جاري عدم فتح الباب لي فيما لو ارتعبت وهرعت له لأسأله ببلاهة رائعة: أرجوك، قل لي من أنا؟. بعد قليل سيمتلئ مسبح الجيران، بعد قليل سيفرغ ذهني، سأخاف وسأهرع إلى جاري الذي لن يفتح الباب بناء على طلبي، ذهني طفل سيولد الآن، سأشهق حين أرى الشجرة: يا الله، ما أجمل هذا الشيء، سأطلق على الشجرة اسماً آخر، قد يكون برقاً أو سفينةً أو أماً، المسبح لن يشهق حين يجلس فيه جيراني، على الأرجح سيغفو، سميناً وراكداً سيغفو.

الفراغ والبياض والصمت ثلاثة أشقاء ينتظروني الآن.

بالله عليكم، قولوا لي من أنا؟.

Twitter: @ketab_n

أغنية

لا تردي عليّ إن سمعت اسمك في الشارع يتطاير من غابة فمي، لا تردي عليّ، ابتسمي يا جميلتي، فقط ابتسمي، ثم امضي في طريقك الذي هو ليس طريقي، ففي النداء عليك من بعيد، يقع بيتي وتزدهر أغنيتي. لا تردي عليّ، لا تردي عليّ، حتى لا أضل الطريق إلى بيتي وحتى لا تنكسر أغنيتي.

همهمة

الحب: هو ليس أن تغطيك فحسب يدان تخافان عليك من البرد، هو ذلك الحرص الحميم البطيء (المصحوب بهمهمة) على شدشدة اللحاف على جسدك من أطرافه كافة، لطرد البرد. يدان عظيمتان تغطياني كأنهما ترسماني. أي دفء، أي دفء!.

لا تفعل ذلك سوى أم أو حبيبة.

Twitter: @ketab_n

صفقة

الحنين: هو أن أرى حصاناً يركض مع الريح جنباً إلى جنب، دون أن يكون على ظهره طلعت المجنون، صديق الطفولة وأول الأسرار. كان طلعت عاشقاً للخيل والريح، قبل عشرين عاماً، عقدت معه صفقة، أعلمه كتابة الشعر ويعلمني كتابة الريح. طلعت الآن في سجن المحتل، حيث لا براري لا خيول ولا ريح. عليك السلام والبراري والخيول صديقي وأستاذي طلعت.

طريق

مات فجأة رجل اسمه مثقال، رجل لم يكن صديقي، لكننا بحكم الطريق اليومي تبادلنا معاً الابتسامات الصغيرة، وغمغمنا بالسلام البارد وتحايا الأيدي المتعبة، كان عاملاً شرساً في حفريات الشوارع، وكنت عاملاً منهكاً في حفريات اللغة، كان يعمل ليطعم أطفاله، وكنت أعمل لأطعم روحي. كم كنا أصدقاء دون أن نعرف. كم!

مات فجأة رجل اسمه مثقال.

Twitter: @ketab_n

89

أحاول أن أعرف أين كنتِ من العام 84 حتى 89؟ وكيف كانت تسريحة يديك؟ وكم مرة تشاجرت مع زميلة صف تغار من أناقة عينيك ودفاترك، أو مع طريقه الأم في تمشيط شعرك؟ وما نوع اللبنة التي تحبينها؟ وما الذي كان يضحكك في استراحات ما بين الحصص، ويخيفك في مفاصل حلم؟. كنتُ هناك في المدينة نفسها طالباً وحيداً في جامعة مزدحمة، وكنتِ أنتِ رغبة متوترة تتجول حائرة في قلب بنت هي أمك، أحاول أن أعرف، أنا الذي لا يعرف لماذا اختار الله (التسعينيات) ليحبها ويكافئها.

برابرة

لكل منا غرباؤه الذين سيطرقون بابه في منتصف نعاس وعتمة، ربما يكسرون الباب فيما لو تأخرنا في فتحه، ربما ينتظروننا عند الباب حتى الصباح ليكسروا طعم الأغنية وشكل الندى ورائحة القهوة، بغضب وفوضى سوف

Twitter: @ketab_n

يفتشون في عيوننا عن لوننا الذي يغيظهم لأنه ليس لونهم، سيشتموننا لأن أسماءنا ليست أسماءهم، وسيكرهوننا لأن طريقتنا في إدارة حزننا الشخصي ليست طريقتهم.

لكل منا غرباؤه الذين سيطرقون بابه في منتصف نعاس وعتمة.

آه، كم هم ضروريون هؤلاء الغرباء، كما هو ضروري انتظار البرابرة.

توتر

في الثلج أحبك أقل، أفتعل معك الحروب الصغيرة، كأن أسألك بتوتر عن نظرتك المتواصلة لنافذة طلاب الجامعة المجاورين، لا شيء يساوي متعة أن أطردك خارج بيتي وأراقبك من النافذة بندم خفيف وأنت تضيئين بمعطفك وبنطالك الأسودين ليل الغضب الأنيق في لحم الأرض الأبيض، لا شيء يساوي فيما بعد لذة ندمي الدامع وصفحك الفضي عني.

Twitter: @ketab_n

عمال

لتلك الرائحة ذاكرة جميلة في روحي، رائحة دم مجبول بالغبار والعرق والأسمنت يبزغ خفيفاً من إصبعي بفعل مسمار ضل طريقه من الخشب إلى يدي، كنت منهم في زمان بعيد.

لا أجمل من أن تجلس في صباح مبكر في سيارة (فورد) ممتلئة بشكل غير قانوني بعمال المخيم شباناً وكهولاً ذاهبين إلى ورش البناء المتوزعة في رام الله وخارجها، لا أجمل من أن تقيم عشر دقائق في سعالهم الخشن ونظراتهم المتشككة وقهوتهم التي يندلق نصفها على أفخاذهم، ودخان سجائرهم الوقح ونكاتهم التي لا تضحكني لكنها تقويني وتقويهم، في أحضانهم يستقر طعامهم في أكياس سوداء وفي حضني تستقر كتبي في حقيبة سوداء. كنت منهم في زمن بعيد، كنت منهم.

أهبط من السيارة، وتهبط معي رائحة الباطون المتجمد في ملابسهم.

Twitter: @ketab_n

عشر دقائق مع رائحة العمال، مع رائحتي التي استرجعتها بعد طول كتب ومقاه ومدن. كنت منهم في زمن بعيد، كنت منهم.

في البيت أجلس الآن مع ضيفين عزيزين: رائحتي القديمة، وقهوتي.

كنت منهم في زمان بعيد، كنت منهم.

غناء

رجل منشق، بملابس منشقة وملامح مجروحة، سأراه الآن في الشارع وهو يحرّك يديه وكأنه يفتح نافذة في الهواء، الرجل الضيف الثقيل الذي ليس من عالمنا يعتقد بذهن المنفصلين والطازجين أنه يرى ما لا نرى، رجل سأحبه وأخافه بعد قليل، سيبزغ من منعطف شارع الحسبة فجأة كما عاصفة صامتة، كما خبر مزعج، سيظنه الناس مجنوناً، وسيبتعدون عنه ويشمئزون من رائحته، الرجل الشارد والشريد، سيفتح أمامي نوافذه ويمضي، بعد ابتعاده

Twitter: @ketab_n

سأقترب من نافذة من نوافذه وسأرى ما يرى، وما لا ترون، سأشرع وحيداً في الغناء، وستظنونني مثله منشقاً وضيفاً ثقيلاً ومجروحاً وشريداً ومنفصلاً تماماً، لكني سأكون طازجاً مثله تماماً، وسأواصل غنائي ولن أهتم.

مساء

الاغتراب الشامل هو أن تقف متوتراً خلف باب بيتك في مسائك الطويل خجلاً من طرقه حتى لا تزعج نفسك.

تعاسة

النجوم المذنبة التي نراها تهوي بسرعة هائلة على الأرض ما هي إلا مخلفات كواكب اندثرت قبل ملايين السنين ولكن ضوءها وصلنا نحن الأرضيين الآن، أي أننا لا نرى إلا الماضي، ماضي الأشياء، وليس حاضرها.

Twitter: @ketab_n

يشبه الأمر تماماً حكاية حبنا الغريبة، ضحكاتك التي ما زالت تتدحرج تجاهي بسرعة هائلة، ما هي إلا مخلّفات حكايات حب آلاف الناس قبلنا، لكن بريقها وصلنا نحن التعساء الآن، ما نحن وما حبنا يا صديقتي سوى ماضي الأشياء لا حاضرها ولا مستقبلها، ما أتعسنا ما أتعسنا.!

بتلة

أن تكتب في الصباح الباكر اسم امرأة تُحبها على بتلة وردة، ثم تغيب نهاراً كاملاً، وحين تعود في المساء تجد أمام بيتك راعياً مؤدباً يعتذر نيابةً عن شياهه التي أكلت الوردة، مرعوباً تفكّر في اسمها، ما الذي سيحدث له حين تحز سكين العيد القادم عنق الشاة وبطنها؟.

مستحيل

صدفة غريبة جمعتني مع زميل صف إعدادي قديم، صار الآن متعهد بناء كبيرا.

Twitter: @ketab_n

سألني: هل تزوجت؟ لا.

هل بنيت بيتاً؟ لا.

هل سافرت؟ لا.

هل أحسست بطعم الأبوة؟ لا.

هل تذوقت طعم الكافيار؟ لا.

سألته: هل تذوقت طعم المستحيل؟ لا.

هل أحسست يوماً أنك قوة كونية كبرى؟ لا.

هل تحسست فرو الخسارة الممتعة؟ لا.

هل استضفت يوماً غيمة في عينيك؟ لا.

هل اكتشفت بعداً آخر لذهنك؟ لا.

ظل هو ينظر إلى ملابسي ويبتسم.

ظللت أنا أنظر إلى كتابي الأخير في يدي وأبتسم.

لم يعرف كلانا من هو المنتصر.

Twitter: @ketab_n

سِيدي

كان سيدي خليل في التسعين من عمره يروح ويجيء في قطعة الأرض الواسعة التي خلف بيتنا في المخيم، والتي ليست لنا بالطبع، لم يكن يفعل شيئاً محدداً هناك، كان يبدو أنه يشعر بالضجر، كنت أراقبه من أعلى الجبل بقنبازه وحطته وعقاله وهو يمشي ببطء وحزم، ناظراً إلينا بين الحين والآخر، كنت أشعر بأنه سيصعد إلينا بعد قليل كطفل في التسعين من عمره ليقول لنا شيئاً ما ويهبط، كنا نحن أحفاده الغزيرين نتصايح ونحن نجرجر ألواح الزينكو المهترئة ذات الثقوب من أعلى الجبل ونحاول أن نصنع منها بيوتاً فوق تلك الأرض الواسعة، كان سيدي خليل لا يتوقف عن المشي، فقط المشي، رأسه في الأرض، ويداه تتحركان بطريقة غريبة، كأنه يكلم أحداً أو يهدد أحداً أو يطمئن أحداً.

هجم سيدي في لحظة غضب غير مفهومة على أحفاده، وهم يبنون بيوتاً من صفائح الزينكو المهترئة، تفرق الأحفاد مرعوبين، كان سيدي يلاحقهم وهو يصرخ خلفهم: «مش راح تزبط، مش راح تزبط» ولم نكن نعرف ما المغزى

Twitter: @ketab_n

من جملته المكررة، أمسك سيدي بي، تباطأتُ أمامه لأني مطمئناً كنتُ أعرف أنه يحبني وأنه لن يؤذيني، لكن صفعة يده الضخمة والخشبية على وجهي فاجأت طمأنينتي، لم أفهم بالضبط لماذا صفعني سيدي، صاحب الخمس بيارات في قريته المخطوفة، لكني راقبته طويلاً وهو يجلس على الأرض مكسوراً ومتعرقاً ولاهثاً ومكررا: «مش راح تزبط، مش راح تزبط».

وتذكرت حينها أن لا أحد قال لي بوضوح ما معنى أني لاجئ، صفعة جدي على وجهي، قالتها لي بوضوح قاتل.

نقطة

متأخراً جداً أو مبكراً جداً أصل إلى الأشياء، تلك هي ثنائية حياتي الغريبة.

في كلا الوصولين أخسر وأعود إلى حيث نقطة البداية، شيء واحد أربحه من رحلة الخسارة المتكررة هذه: صداقة نقطة البداية.

Twitter: @ketab_n

قهوة

أخطأ نادل مقهى بيت الدرج برام الله، حين تجاوزنا على غير عادته ليعطي فنجاني قهوتنا لعجوزين ثمانيين يجلسان على الطرف الآخر من دوار الساعة، وحين سألناه محتجين على فعلته الغريبة، ابتسم بهدوء وواصل طريقه إلى زبائن آخرين.

مشيت باتجاه العجوزين المنهمكين في حوار هامس بلا أسنان، ألقيت عليهما سلام دهشتي وارتجاف قلبي، طويلاً وقفت أمامهما مصدوماً، أخرس القدمين، لا أعرف إن كان صديق دواري وقهوتي وذكرياتي وسرّي ومساءاتي قد صدّقني حين عدتُ إليه:

«لم يخطئ النادل يا صديقي، لم يخطئ، لقد أعطانا قهوتنا بعد ثلاثين عاماً من الآن».

Twitter: @ketab_n

طيون

لا أريد أن أكبر، لا أريد. أريد أن أظلّ ذلك المقذوف للتوّ من ظلام ما، إلى ضوء ما.

ما أسرع أن يتحوّل الضوء إلى ظلام آخر، فأقذف منه مرة أخرى وهكذا، من ظلام إلى ضوء ومن ضوء إلى ظلام، تلك هي كينونتي الخشنة، وهويتي العصبية والذهنية العصيّة على التحدّد.

سعادتي في انقذافاتي، وبطولتي في الاستسلام لها، والتمازج معها، أنا المقذوف والقاذف، أنا الظلام والضوء وما بينهما من ظلال شجية الطعم، أريد أن أبقى ذلك الذي ينتظر دوماً تلك العناية من شخص ما، والمهيّأ أبداً للتدفق حباً على إنسان ما، ذلك الحب من امرأة ما، تلك النهاية التي لا تنتهي في رواية ما، تلك الأصوات غير المفهومة في ليلة ما، لا أريد أن أكبر لا أريد.

أريد أن أبقى ذلك الطفل الذي يخيب ظنه ومحبيه، الذي يفاجئ ذاته والآخرين بإحساس جديد، بخوف غير

Twitter: @ketab_n

مبرر، بهوس مضحك، بإفراط في كراهية أو حب، يتنقل من حضن إلى آخر، يبول بحرية على ملابس الآخرين، ويرضع من أمهات كثيرات، ويبصق على وجهه في المرآة، ويشتم الغرباء في الشارع، لا أريد أن أكبر، لا أريد. أريد أن آكل بيدي العشوائيتين بنهم منفلت و(أشروط) على صدري وملابسي، دون حساب لنظرات المحيطين بي في المطعم، أطيل شعري، وأحرّض طلابي على إطالة الشعر أيضاً، أمشي حافياً في الشارع، أثرثر بمحبة مع سكارى نزلة البردوني في منتصف الليل، أتذكر بوجع صديقي العجوز (زبال) منطقة الشرفة الذي مات تمزقاً تحت عجلات شاحنة، وأشرب في صحته فنجان قهوة سادة. أندم لأني قسوت على بنت تحبني حباً تقليدياً، ثم أندم على ندمي، أواصل صداقة الله بأسلوبي، ولا آبه لأسئلة الناس: «إنت شو عملت في حياتك»؟ أجيبهم سراً: لقد أنجزت الكثير من الأعمال المهمة التي لا تمت إلى عالمكم المحدد بصلة: ابتسمت كثيراً في وجوه أطفال كثيرين، أحببت أمي كثيراً، عانقت أصدقاء يبكون، بعد أن كسر الحب قلوبهم، أو خطف الغياب آباءهم، نهضت في صباحات كثيرة مبكرة ولمست رائحة البدايات

Twitter: @ketab_n

البيضاء، حلمت ومازلت بالعودة المعرفية والحضارية والجسدية إلى الأندلس، تقاتلت مع أغلى الأصحاب، على حب امرأة طويلة القامة، كتبت قصصاً عذراء سكنت في نهود نساء كثيرات وقلوبهن، خدعت آخرين خدعاً بسيطة غير مؤذية، وخدعني آخرون خدعاً كبيرة مدمرة، كذبت كثيراً على أمي وأستاذي ونفسي وأصحابي وحبيبتي، قطفت قبلات كثيرة من شفاه كثيرة بالقرب من بحار كثيرة، في مدن كثيرة. أحببت الله كثيراً وأثرت إعجابه، تعلمت لغة الشجر وهمت عشقاً في نبتة الطيون.

جنوب

اسمع يا هذا: لا تدعهم يخطفونك إلى مساحاتهم، أولئك الهائلين الذين تحبهم، افصل بغضب بين قلبك وذهنك، أعطهم القلب بما فيه من ماء سقوط جميل وخوف إنساني يومي، دع زياد القلب يموت حباً هناك، اتركه وشأنه، جثة هائجة على رصيف عينين خرافيتين، واحمل بسعادة الصوفي النحيل، ذهنك إلى جنوب رغبتك العارمة

Twitter: @ketab_n

في التلاشي في الأشياء، الأشياء البعيدة والغريبة حد أن تصيرها تماماً. يا للجنوب الفقير والغني، كم هو صديق الأذهان الحية!.

لا تسكنهم ذهنك، لا تعرّفهم عليه، اكذب عليهم، قل لهم: ولدت دون ذهن، أنا أبلهكم اليتيم، لا تقل لهم إنك شخص آخر، اخنقهم في بئر القلب، فقط في القلب، دعهم هناك بكامل جمالهم المرعب يعيثون فيه أرقى أنواع الخراب.

أولئك الهائلين الذين تحبهم.

غادة

حبيتي غادة، أختي الطويلة الرشيقة الشقراء، صاحبة أجمل أصابع يدين (37 عاماً)، احتياجات خاصة، هذا اليوم كان أول أيامها في مؤسسة مقدسية تعنى بشؤون ذوي الاحتياجات الخاصة، قال لي أبي وهو يحاول ألا يبكي: حين تركتها عند موظف الاستقبال، وكدت أخرج من البوابة الرئيسة للمؤسسة فوجئت بغادة تركض باتجاهي، ظننتها

Twitter: @ketab_n

ترغب في العودة إلى البيت، فإذا بها تنحني وتقبّل يدي ثم تعود راكضةً إلى الموظف المندهش.

الغريب أن غادة لم تفعل ذلك مع أحد أبداً، فهي لم تكن تعرف معنى المصافحة، فكيف بتقبيل اليد؟ ما الذي أرادته غادة من تقبيل يد أبيها؟ هل كانت تريد أن تقول له: سامحني يابا؟ هل كانت تتظاهر بالجنون طيلة 37 عاماً؟ هل زارها العقل فجأةً في هذه اللحظات الغامضة اليتيمة التي لا نعرفها نحن الطبيعيين؟ هل نحن طبيعيون حقاً؟!! أحبك غادة، يا أختي، يا صاحبة أجمل أصابع يدين.

صيف

في صيف قديم، زرت غزة مع فريق رياضي من نادي مخيم الجلزون، كنت تلميذاً صغيراً، لم أتذكر من غزة سوى عودة فريقنا مهزوماً منها أمام فريق رياضي.

في الحافلة وجمت وجوهنا، وبكى بعضنا، طلبنا من السائق أن يطفئ أغنية المذياع، كان السائق الغزاوي الأصل

Twitter: @ketab_n

المقيم في الضفة يبتسم شامتاً وهو يطفئ الأغنية، حدثت هزيمتنا في صيف قديم جداً، ضبابي الملامح تحديداً قبل أن أعرف أن غزة ستواصل انتصاراتها على الضفة وعلى العالم وعلى نفسها في الشعر والحب والله والرياضة والموت والبحر، وقبل أن أعرف أيضاً أن انتصار غزة هو انتصارنا وأن ابتسامة السائق ابتسامتنا جميعاً. يا أللّه، خذني إلى غزة، واهزمني هناك ألف هزيمة.

خمسة

بخمسة أقنعة سأخرج غداً من البيت: نظارة فاخرة تخفي تحتها عيني المتورمة، بنطال مكوي جيداً يخفي تحته لباساً داخلياً مهترئاً حذاء لامع يخفي تحته جوربي المثقوبين، قميص ثمين يخفي تحته دمامل مقززة حول سرة بطني. مثل ملك سأجلس في مقهى (زمن) وحدي صباحاً، لن ينتبه أحد، لن يستاء أحد، فالكل سيرتدي أقنعتي نفسها. سنكون متفاهمين متصالحين، وسيكون العالم بخير.

فيما ستجلس الحقيقة بصمت خلف النافذة، تتضور برداً وعزلة.

Twitter: @ketab_n

شتاء

في حصتي الأولى بعد قليل سنستضيف أنا وطلابي الشتاء، سنجلسه في المقعد الأول، سنضع قربه مدفأة حتى لا يبرد، فمدارس الحكومة بلا مدافئ، سنعلق احتفالاً به البلالين الملونة في السقف، ونشعل الأغاني والشموع والابتسامات، سنشتم أمامه الصيف، فصل البلادة والحرائق والدود، سنغني له (شتّي يا دنيا شتي) وربما نرقص، لنسليه، وقبل أن يرن جرس الحصة، سنتجمع حوله ونطلب منه خدمة بسيطة وصغيرة، سيقول الشتاء: بالتأكيد أؤمروني فقد أبهجتم قلبي هذا الصباح:

مزيداً من الضباب في سماء غزة يا شتاء، مزيداً من الضباب.

مزيداً من ارتباك الطيار، مزيداً من عماه وعودته إلى قاعدته بيأس.

Twitter: @ketab_n

جدائل

قبل عشرة أعوام، وفي لحظة شبق وجودي، قصصت خصلة من جديلة امرأة ودسستها في صفحات رواية (العمى) لساراماغو، الآن وأنا أعيد قراءة الرواية استغربت كيف أن حدث الرواية الرئيس قد انقلب إلى ضده، صارت المشكلة هي وضوح الرؤية الخطير لسكان المدن. انكشفت الأسرار، شوهدت الغيوم وهي تنام والنمل وهو يرقص، فضحت رغبات النوافذ، وانقشع ظل الله.

ضعوا جدائل حبيباتكم في صفحات الروايات المقروءة، ثم أعيدوا القراءة لتكتشفوا ذاهلين سحر التحولات، وانقلاب الأحاسيس.

جدائل الحبيبات تكتب أيضاً.

Twitter: @ketab_n

جائزة

لنشر إلى اسمه بحرفي (ر.ف)، جاري في الـمخيم، خمسيني بلا أسنان... لا شعر على رأسه، نحيل إلى درجة أنه لا يمكن أن يُرى في الشارع إن لم يصدر صوتاً مثل نحنحة أو تحية أو ضحكة، أب لتسعة أبناء وبنات، عمله البناء، هو يزعم دوماً أنه متعهد بناء مشهور بنى مئات الشقق في رام الله وداخل فلسطين 48، لكن سكان المخيم -ومنهم أنا بالطبع- لا يصدقون ذلك، إذ إن من السهل جداً يومياً تقريباً رؤية شخص ما غاضب يجره من رقبته إلى الشرطة؛ لأن أحد أعمدة البيت الذي يبنيه له وقع في الليل، إذ إنه لم يحسن بناءه كالعادة، ومع ذلك لا يتوقف (ر.ف) عن الضحك والتنكيت، لماذا تطلبون مني أن أبني لكم بيوتكم إذن؟؟ يصيح فيهم (ر.ف) ضاحكاً، كان يعرف أنه مطلوب بغزارة؛ لأنه لا يكلف كثيراً، لن يضطر أحد لدفع الكثير من المال له، وأحياناً يكتفي (ر.ف) بوجبات طعام ساخنة وفاخرة مثل المسخن والـمنسف له ولأولاده، آخر نوادره كانت، أمس، حين وقفت بجانبه وهو يخلط الإسمنت بالماء:

Twitter: @ketab_n

- «كيف الشغل يا صديقي؟».

- «والله يا أستاذ إني ازهقت، إلي 27 سنة بشتغل في الباطون، فتحت مليون كيس إسمنت، نفسي مرة أفتح كيس وألاقي جواه جائزة أو هدية من الله أو من صاحب مصنع الباطون».

وينفجر بالضحك الدامع، وأنفجر أنا بالضحك الحزين، ويتفجر كل شيء حولنا بالتوتر غير الظاهر.

مرةً من المرات أوقفني (ر.ف) في الشارع، أمسكني من كتفي متخذاً وجهه قناع غضب ما:

- «أستاذ أنا بحاول أقرأ لك في الجرايد بس ما بفهم إشي، إنت بتكتب عن كوكبك إنت، زورنا في كوكب الأرض». ثم ألقى على عيني وثيابي قنبلة صوت ضاحكة، ومضى. ما لم أذكره لكم هو أن هذا الرجل سيموت في أي لحظة؛ لأن مرض قلب العائلة الوراثي لم يبق من عائلته (إخوة وأخوات وأعمام وخالات) سواه.

Twitter: @ketab_n

وعلى ذلك علّق ذات مرة:

- «نفسي يا أستاذ أربح جائزة في كيس إسمنت قبل ما أموت، الولد الكبير نفسه في دراجة، نفسي أبسطه هالعكروت». وصمت الرجل النحيل، حدق في خلطة الإسمنت تحديقةً طويلةً حتى خلته سيقع على الأرض ميتاً تلبية للنداء المتفق عليه بين العائلة والمرض، انتظرت ضحكته المجنونة الدامعة، لكنها ويا للغرابة لم تنفجر كانت فتيلتها مبللةً بغصته العميقة.

سأذهب إلى المدينة الآن، آكل الدجاج المسحب، بالخبز الأسمر، أدوخ في كتاب ما، أصدق نصوصي وهي تتبختر في ملعب اللغة، أشرب عديداً من فناجين القهوة، أهاتف جميلتي بيضاء الصوت، أنام قيلولتي، لكني سأظل أحس بثقل غريب في قدمي، وطعم مرير وغريب في فمي، كأني أغطس حتى جبيني في خلطة إسمنت ثقيلة وسائلة في آن، سأعثر على يد (ر.ف) وهي تسبح ميتة في لجج الخلطة الرمادية، سأحاول أن أسحبها؛ فأحس بشلل في يدي، ما

Twitter: @ketab_n

زلت أعيش داخل جحيم الإسمنت، الذي يحجب عني شخصيات بريئة وثرية مثل (ر.ف)، وشوارع قذرة لكنها شديدة الحياة، وأمكنة ضيقة ومخنوقة لكنها واسعة الإحالات والدلالات، ومنجم لغة وأفكاراً وأحاسيس أخرى، سأعثر على ممري الذي سيوصلني إلى نهاري؛ لأكتب عن كوكبي الشخصي وكوكب الأرض.

أحبك يا نحيلي الإسمنتي، أحبك... .

ليس مهماً

أريد أن أجلس على عتبة بيتك، لا أنتظرك ولا أشتاق إليك ولا أفكر في إن كنتِ داخل البيت أم ما زلتِ خارجه، ولا يهمني الرجل الذي ينتظركِ معي دون أن أعرفه أو يعرفني، فقط أريد أن أجلس على عتبة بيتك.

Twitter: @ketab_n

ارتباك

ابتعدي الآن، اخرجي من هنا بانتصار أجمل المهزومات، وخذي معك كل شيء: قوالب الشوكلاتة الثمينة ووشاحك المبلل بالعتمة والظمأ، ودبابيس منديلك، وكتبك المفضلة وصور العائلة وبراعة طهيك وعطرك المجنون ويديك القاصرتين وضحكتك المليئة بالليل والفودكا، ابتعدي، ابتعدي، وابقي لي فقط: ارتباكك.

لا أريد سوى: النوم مع ارتباكك، الارتباك مع ارتباكك، المشي في ارتباكك. الموت في ارتباكك.

إنسان

رجل النظافة الأخرس مرةً أخرى في حديقتي، يقترب مني مبتسماً، يعطيني زر قميص يبدو أنه وجده في كيس قمامتي، ويمضي بهدوء.

عاد رجل النظافة الأخرس مسرعاً، وأشار إليّ بيده على زر قميصه، فهمت أنه يسأل عن الزر، أعطيته إياه

Twitter: @ketab_n

مستغرباً، وكتب لي على ورقة بالحرف الواحد: «الزر مش الك يا أستاز، أنا آسف، إلقيته في كيس قمامة جارك جمال، فكرّت إنه الكيس إلك».

ها هو يغادر بهدوء أيضاً. تاركاً في روحي طناً من الأزرار لقميص كوني اسمه: «الإنسان».

خجل

في الطائرة نامت امرأة إسرائيلية جميلة على كتفي، دون قصد طبعاً.

خجلت أن أوقظها وأقول لها إن كتفي تؤلمني لأنها أصيبت قبل أيام فقط برصاصة إسرائيلية.

Twitter: @ketab_n

حرب

أمارس الآن الحب مع مومس أوروبية. فجأة بينما أنا أحترق فوقها، سمعتها تهمس بما يشبه الغنج: «بوكر توف حبيبي، بوكر توف». هكذا اكتشفت أني أمارس الحب مع إسرائيلية، لم تمنعني النشوة المتعالية من أن أقول بالعبرية التي أتقنها وأنا ألهث: إنها أجمل الحروب يا صغيرتي.

كنا نضحك معاً، نتأوه، المفاجأة الغريبة كانت اكتشافنا بعد القذف أن لون مائنا كان أحمر.

دموع

حلمت أني عراقي، في الصباح فوجئت بوجهي غارقاً في الدموع.

Twitter: @ketab_n

غيوم

كان دستوفسكي يصيح في ليله الثلجي الطويل: «يا إلهي، لماذا يموت الأطفال؟» لم يكن يفهم سبب موتهم، كما أنا تماماً، هل يحق لي أن أقترح بسذاجة وحب:

لماذا لا يرفعهم الله إلى السماء مؤقتاً ريثما تنتهي الحرب، ثم يعيدهم إلى بيوتهم آمنين؟؟ وحين يسألهم الأهل محتارين: «أين كنتم؟» يقولون مرحين: «كنا نلعب مع الغيوم».

صحة

أجلس ضاحكاً بجنون بين أصدقاء سعداء وعفويين وجميلين. ودون أن يلاحظ الأصحاب، أتحسس جيبي بين الضحكة والأخرى لأطمئن إلى صحة دمعتي، وجبة ليلتي.

Twitter: @ketab_n

ركض

كنت أركض مسرعاً خلفها، وكانت هي تركض خلف رجل آخر، وكان الرجل الآخر يركض خلف امرأة أخرى، كانت تركض خلف رجل، وكان الرجل... .

يا للمدينة التي يركض الكل فيها خلف الكل دون أن يصل أحد لأحد.

وقاحة

كم من فراشات راقصة في صباحي: ساقك (الوقحة) وهي تكسر ملامح وجه الشرشف، فتتدلى بشغب رائع عن طرف السرير، فيصير الشرشف أغنية، فنجان القهوة، ذلك الطفل الهادئ الذي وضعته مبكراً جداً قربك على منضدة، كتاب (الطمأنينة) مفتوح الصفحات (بيسوا) معبدونا المشترك، وهو ينحني نائماً على خدك فيما يشبه طمأنينة تعثر على قلقها.

كم من فراشات راقصة في صباحي، كم!

Twitter: @ketab_n

مأساة

بأقل الكلمات وأشدها كونية ووجعا وجمالا، ألخص مأساتي معك، ومأساة الإنسان مع الوجود: حدث أن حلمنا، حدث أن صحونا.

عين

كان يجب على الرب أن يصنع في أجسادنا نحن الفلسطينيين، قابلية الانخلاع المؤقت، لنتحايل على نقاط التفتيش، هكذا نحل مشكلة السفر إلى أنفسنا / بلادنا المنهوبة، تخيلوا عيني اليسرى وهي تجلس الآن في جيب صديق عكاوي حملها معه من رام الله ويجلسها الآن برفق على شاطئ عكا، وإن حدث وسألني أحدهم أين عينك اليسرى؟ أجيبه بشكل مباشر وليظنني مجنوناً: عيني تزور عكا.

بعد عدة أيام يعود صديقي العكاوي إلى رام الله برفقة عيني.

وحين يغادر إلى عكا مرة أخرى تمتلئ جيوبه بأعين وأصابع الأصحاب في رام الله.

Twitter: @ketab_n

اسم

شيء ما يحيرني، ربما هو الصباح الذي لا يتوقف عن المجيء، ألا يسأم منا؟ شيء ما يخيفني، ربما هو بلادنا التي تدق أبوابنا كل يوم، ألا تضل الطريق إلينا؟، شيء ما يكسرني، ربما هو الموسيقى التي تكافئنا كل لحظة، ألا تغضب منا؟ شيء ما يقلقني، ربما هو دم الشهداء الذي يحيا كل لحظة في نصوصنا، ألا يموت أبداً؟ شيء ما يسحرني، ربما هو أمي التي تفكر بي كل يوم، ألا تنسى؟ شيء ما يميتني، ربما هو هروب تلاميذي مني في الشوارع وهم يبيعون البوظة وبطاقات الهويات، ألا يتذكرونني وأنا أبيع الترمس ذات طفولة باردة؟. شيء ما يثيرني، ربما هو يدك الصغيرة حين تخرجينها مضرجة بالنار والأطفال والفراشات من جيب معطفك في ذروة ضباب وشارع وبرد، ألا تعرف يدك أنها بوابة موتي وصباحي؟. شيء ما يغلقني، ربما هو عدم انقراض الطغاة حتى الآن، ألا ينتهون أبداً؟. شيء ما يخوننا معاً، ربما هو أن اسمي ليس هو اسمك، ألا تفهم الأسماء مرة أنها محض أنا وأنت.

Twitter: @ketab_n

صديق

وحين لا يموت لك صديق في نهار ما، تذكر بحزن أن صديقاً لشخص غيرك مات في ذلك النهار.

شوك

الآن عرفت لماذا أملأ نصوصي بالرجال من ذوي الشعر الناعم، تذكرت قبل لحظات امرأة قديمة شبّهت شعر رأسي الخشن بحقل الشوك.

زمن

ما إن يزهر اللوز أمام بيتنا، حتى نطوح ساعاتنا في شوارع الهواء، تطير فراشات الخلود من تحت إبط لحظتنا، ما أن يخبو اللوز ويلبس عريه، حتى نهجم على الشوارع كالمجانين التعساء، نبحث في قش الهواء عن ساعاتنا الثمينة، كم نعاني من ضعف ذاكرة رائع، ألسنا عشاقاً!.

Twitter: @ketab_n

غابة

في تجاور حرفي الشين مع الجيم في كلمة (شجر) تستجم غابة حب صغيرة خجولة.

عيناك

ظاهرياً تبدو وكأنها أزمة مناخ، تحديداً انحباسات لريح وعواصف ومطر، باطنياً (وحدي من يعرف ذلك) هي أزمة ثقة بين عينيك والعالم، ببساطة، عيناك غاضبتان على العالم.

جيتار

لماذا طلبت مني أن أعزف لك على الجيتار، أنا المصاب بحبك/ غيابك بينما

كنت في الغرفة المجاورة ترسمين على الحائط جيتاراً مهشماً ودموع عازف؟

Twitter: @ketab_n

فنون

إذا صادفتَ امرأةً ترقص عاريةً وحدها ليلاً وتحت الثلج فابدأ فوراً في الشك بجدوى الفنون.

سقوط

الثلج لا يسقط وحده، تغضبين مني فيسقط، ياه ما أبيض غضبك!.

بكاء

هل صدقت الآن أن السائل الغامض النقي الذي يسيل من الرف الخامس في المكتبة هو دموع القديس قسطنطين؟ نعم، الكتب تبكي أيضاً.

سحر

حرف واحد بين موتي ونشوتي، بين حرائقي وحدائقي، فكوني يا جميلتي فتنة برزخي، لأكون سحر احتمالك.

Twitter: @ketab_n

منفى

وحين مبكراً جداً من النوم تنهضين، في شقتك اللندنية، في منفاك الغزير، يضج في قلبي ياسمين البلاد البعيدة، وتصير نهوضاتك الدائمة من النوم بيتاً لي.

أم

من أبسط الكلمات والأشياء تُصنع النهارات، في الشارع قبل لحظات سمعت أباً حزيناً ومتوتراً يقول لطفله الهارب من البيت وشبه المصدوم والباكي: «معلش بابا أنا آسف، أنا وماما بنحب بعض كثير وهاي المشاكل عادية جداً. يلا على البيت بابا، هات إيدك». أعطى الطفل دموعه ويده ليد أبيه ودموعه ومضياً معاً إلى دموع الأم ويدها.

Twitter: @ketab_n

مخدة

ستستغرب السيدة من منظر مخدتها كلما عادت من عملها ظهراً، ثمة شخص غامض يتسلّل إلى غرفتها من النافذة، يبقر بطن المخدة، يبعثر ريشها في الأنحاء، عمّ يبحث هذا الغامض؟ لم تكن تعرف السيدة، هائلة الرهافة، أن هذا المجهول هو أنا، لم تكن تعرف، أيضاً، أنني مولع بلملمة بقايا أحلامها المتخثرة في قاع المخدة، مثل حليب يابس، كنت أريد أن أعرف: «هل كنتُ يوماً ما من مخلفات أحلامها المترسبة في قعر الريش؟». ألملم الريش، وأهرب به إلى غرفتي، أعيد استجوابه عشرات المرات، لعله يشي لي بحلمها، وحين يصمد الريش في زنزانة تعذيبي؛ وفاءً لرأس سيدته، أعيد ترتيبه على شكل سكة حديد، ثم أجلس عليها منتظراً قطار حلمها ليمر، فألحق بعربته الأخيرة، مثل حقيبة ضائعة تبحث عن مسافر لا يأتي.

Twitter: @ketab_n

ظلال

كم هو بروميوثيسي مشهدك وأنت تتسلقين حافيةً شجرة الليمون، في ظهيرة نهاري الضجر، ليمت (زيوس) في حسرته، فلا عُقبان تقدر على نهش كبدك في وجود فمي. شكراً لأنك سرقت أول ظل لشجرة في العالم من آلهة الشمس وأهديتني إياه، منذ ذلك الوقت والبشرية تحتفل بالظلال.

رقم

في مصعد عمارة قديمة، من عشرة طوابق، جدرانها متهالكة الطلاء، وحدي مع امرأة، لا أعرفها ولا تعرفني، هي واقفة تنتظر طابقها، كان طابقي رقم 3، كان طابقها رقم 9.

فوجئنا مذهولين بالمصعد وهو يقف عند رقم 93.

كلانا لم يعرف، من الذي يتوجب عليه أن يخرج؟

تلك طريقة الحب السحرية والغامضة في الهبوب نحونا، هكذا نصعد معاً برفقة صديق ثالث هو الذهول، إلى طابق واحد مفاجئ دون أن ندري لماذا وكيف؟

Twitter: @ketab_n

فوضى

شرطيا مرور فقيران من الجنوب، صامتان يقفان، متكئين إلى دراجتيهما، يقضمان الجوع والبرد والوحشة والأظافر أمام متنزه حاشد بالشجر والجميلات والملاعق والأصوات بـ«الطيرة». إلهي من ينظّم لشرطيّ المرور مرور فوضى الرغبة والجوع ودفء البيت البعيد، في مخيلتيهما المحروقتين؟.

مرور

تمشين معي يا جميلتي في الشارع، فيمر بالصدفة علي الدائنون اللحوحون، بارتباك يمرّون، ويخجلون مني.

قبر

كان يبحث بنهم مجنون عن قبر قديم جداً لزوجة كاتب فلسطيني كبير في مقابر القدس القديمة، في عز التظاهرات والصلاة والشهداء والشمس كان يقفز عن

Twitter: @ketab_n

أسوار القبور المقفلة، يهبط وديااناً متعثراً بالحجارة، ويصعد تلالاً زاحفاً على وجهه، ويقفز عن الأشواك وصيحات الحراس والصخور، ليطل على مقبرة داثرة لا معالم فيها لأسماء الميتين.

كان (أبو جورج) حارس (مقبرة صهيون) يهمس لشخص قربه، كلما رآه قادماً من بعيد: «رجل القبور الغامض عاد مرة أخرى».

كان يريد بشدة أن يعرف مكان القبر ليقف دقيقة ذهول واحدة أمامه، وليضع وردة حمراء فقط ويمضي إلى البيت، منتصراً بحزن على شيء ما.

لم يجد القبر حتى الآن، ما زال أمامه مزيداً من الهبوط والصعود والتعثر وصراخ الحراس البعيد، والقبور التي مسح الزمن أسماء ميتيها، والورد الأحمر المتكدس في مخزن (أبو جورج)، وفي لحظة إشراق غريبة، سمع صوتاً قوياً داخله:

Twitter: @ketab_n

أنت لا تريد إيجاد القبر، عليك أن تعترف، أنت تريد أن تظل تبحث عنه، لأنك تعرف تماماً أنك لو وجدته لفقدت القدس.

هيفاء

أينما وليّت حنيني أتوقع ظهور هيفاء، في الطفولة المذهولة تمنيت أن يكون لي أخت اسمها هيفاء، في المراهقة الصاخبة وددت لو أقع في حب فتاة اسمها هيفاء، في الكهولة حلمت برواية أكتبها بطلتها هيفاء، في الجامعة انتظرت زميلة شهية اسمها هيفاء تجلس بجانبي في المحاضرة، في بيروت تحديداً في شارع الحمرا، كنت أجلس في (كوستا) وحقائبي قربي، بزغت لي هيفاء السورية ابنة الخمس سنوات، متشردة وحافية وجائعة، بملابس رثّة ووجه ملائكي: عمو إنت مسافر؟.

- آه عمو مسافر.
- يا رب تصل بالسلامة، ثم مدّت نحوي... .

Twitter: @ketab_n

بعد أكثر من أربعين عاماً ظهرت لي هيفاء على شكل بنت سورية صغيرة جائعة في مدينة ليست مدينتها.

الآن لم أعد أنتظر الهيفاوات الخمس، في الرواية والطفولة والجامعة والعائلة والمراهقة. طردتهن من أحلامي. وأبقيت على هيفاء السادسة.

يا هيفاء السادسة، ها قد لبّى الله دعوتك ووصلت رام الله بالسلامة.

قلت لصديق سيسافر غداً إلى بيروت: حين تقترب عودتك انتظر أنت وحقائبك هيفاء السادسة بالقرب من (كوستا)، واستلم منها دعوتها لك بالوصول سالماً إلى بلادك. فلن يصل أحد سالماً إلى بلاده دون دعوات هيفاء.

أما هيفاء السابعة التي تحت أنقاض بيتها في غزة، فكل هذا النص هو ذريعة لمحاولة قولها، وهأنذا أفشل في قول هيفاء غزة، فليس بلغة الأرض يحكى عنها، ليس بلغة الأرض يحكى عنه.

Twitter: @ketab_n

زواج

حدث ذات مرة أن جننت وتزوجت غيمة، لم يحضر عرسي أحد باستثناء نصف عين واحدة لشمس وبضع قطرات من مطر خريفي، ونجمتين ناحلتين مشردتين وظل خافت لقمر غائب، حدث أن جننت وأنجبت من الغيمة بنتاً، أسميتها فراشة، ابنتي - فراشتي التي أصبحت الآن في العشرين، قالت لي البارحة إنها تحب أن تتأرجح، وأن حياتها على الأرجوحة هي تكثيف لجوهر حياتها كلها واختصار لمعنى وجودها، وأن بداية طفولتها بدأت حين اشتريت لها أرجوحة، وأن موت طفولتها كان حين هشمت العاصفة الأرجوحة، في الشتاء الماضي اختفيت من أمامها، تهت في منحنيات يومي، وأنا أعيش كلامها وحنينها للأرجوحة كمجاز لفشلي أو نجاحي في تربيتها، ذهبت إلى عملي، عدت إلى بيتي، كانت فراشتي لا تزال تتأرجح، لم أكلمها، كانت صامتة بشكل غريب،عيناها تحدقان في السماء، كأنهما تبحثان عن خارطة وطن أمها، توهمت أني سمعتها تقول لي: أبي: جوهر حياتي هناك في السماء بين

Twitter: @ketab_n

الغيوم، أريد أن أطير هناك، اتركني أطير، أطير، هنا لا يعجبني شيء، الكل هنا يكذب، ويخدع.

أبيأبي، في السماء لا أحد يخدع، لا أحد يكذب، رأيتها تفتح شراعي يديها، وتطير إلى هناك، لم أعرف ماذا تعني كلمة (هناك)، صحوت من توهمي على صوت الباب وهو يفتح، كان بائع الخس، ابنتي كانت لا تزال تحاول أن تمد جسراً بين الأرض والسماء، عيناها تحولتا إلى غيمتين لا يسكنهما سوى غيمتين، عينان من غيم، صوت من ضباب، يدان من عواصف، ونهدان من ريح، أحببت ابنتي في تحولاتها، تعودت عليها غزالة مرةً ومهرة مرةً أخرى وأحياناً كانت تصير زهرة رمان، أحببت ابنتي أو خفت منها أو قلقت عليها، لأنها من صلب الله، من جسد السماء، من حنين المطر إلى موته، سمعت صوت فراشتي: أبي يا أبي، تعال، تأرجح معي، خرجت إليها، جلست بجانبها، كان نصفها الأعلى يتهيأ للتحول إلى ماء، استجابة لطبيعتها الغيمية بينما نصفها الأسفل كان لحماً ودماً وعظاماً، سمعتها تهمس لي: ونحن ننظر إلى السماء، ونتأرجح، أبي سامحني

Twitter: @ketab_n

أريد أن أطير إلى بلاد أمي، لكني لن أغيب، لم تنتظر أبداً موقفي، رأيتها ترتفع وهي تصالب يديها، بينما كان نصفها يندلق على وجهي ماء.

بارداً نقياً لامعاً مثل مرآة. لم تعد فراشتي، حتى الآن، لكني أتحسس كل يوم أرجوحتها، فأجدها مبلولة بالماء. لست حزيناً أبداً، فابنتي في كل مكان: في أحشاء البيت، في أجساد الناس، في نوافير الحدائق، في البحر، البحر، حين أذهب إلى البحر، أكون قد ذهبت إلى ابنتي، ابنتي بحر، فكيف أحزن، هل آن أوان الاعتراف: لم تكن ابنتي، لم تكن حبيبتي، لم تكن أنا، كانت سري.

ثلاثة

الأشقاء الثلاثة الكهول يجلسون الآن في شرفة البيت القديم جداً، عند السادسة كل صباح أراهم يجلسون، بلا قهوة أو زوجات أو جرائد أو شقيقات أو سجائر أو أمٍّ أو كلام، فقط يجلسون، وحين أهبط من منزلي باتجاه الشارع أراهم ويروونني، أو بالأحرى أقع في مرمى بصرهم،

Twitter: @ketab_n

فيرفعون أيديهم ويثبتونها على المستوى نفسه، ولا يبتسمون، تَجمُد السواعد وتتحرك الأكف وحدها يميناً وشمالاً تحية صباحية لي، أرفع يدي اليمنى وألوّح بها صامتاً لتماثيل الصباح المبكّرين.

لا عثور

في مسائي الصغير أمس، بينما أنا عائد إلى البيت، ألقيت نظرةً سريعةً على الشرفة، كانت معتمةً قليلاً، وكان ضوء عمود الشارع يخترق حوافها، وحين استدرتُ لأصعدَ إلى بيتي، لمحتُ ظلالاً لثلاثة أكف ضخمة تتحرك يميناً وشمالاً على جدار الشارع. أريد أن أبتلعكِ لتصير لي حكاية، قالت الريح لشمعةٍ صغيرة فوق طاولة في حديقة، «أمهليني بضع دقائق يا وحشيتي الضائعة، فثمة أنثى تكتب في الظلام لاعثورها». قالت الشمعة للريح.

انحنت الريح لفكرة اللاعثور، ابتسمت الشمعة، صار اللاعثور أنثى ثانية.

Twitter: @ketab_n

غادرت الأنثى الأولى الحديقة، رفعت الريح رأسها وابتلعت الشمعة، قفز ظلام كثير، وحده الرجل الكهل يجلس الآن مع الأنثى الثانية، يمارسان معاً سحر اللاعثور.

صديقان

كانا يمضيان ساعات على الهاتف الأرضي، يتحدثان ويضحكان ويتذكران أيام (البلاد)، في التسعين من عمريهما، صديقان وجاران في أيام (البلاد) وصديقان وجاران في المخيم، بعد أيام (البلاد)، كلاهما مصاب بسرطان العظام، أحفاد الأول بالاتفاق مع أحفاد الثاني اتفقا على خطة لتجنيبهما رعب اقتراب النهاية، الأول يعرف أن الثاني مصاب بالسرطان، والثاني يعرف أن الأول مصاب به، كلاهما يعرف أنهما معاً مصابان فقط بالتهابات في العظام، يتحدثان عن التهابات ما قبل المخيم، فيتفقان أن مجرد الحياة (هناك) كانت أفضل لقاح ضد الالتهاب ويضحكان، يضحكان.

- «يا أخي شو هالصدفة أنه أنا وأنت ننصاب بالتهاب بالعظام؟» يقول أحدهما للآخر،ثم فجأة يصمتان ثم

Twitter: @ketab_n

فجأة مرة أخرى، يتحدث كلاهما للآخر بمرح وهو مشفق عليه سراً لأنه سيموت قبله.

بعد أن يغلقا الهاتف كان الأول يقول لأحفاده: «مسكين السرطان نهش عظامه وهو بفكره التهاب». وكان الثاني يكرر الجملة نفسه عن صاحبه.

بعد ستة أشهر توقف رنين الهاتفين، فقد مات الأول..

عاش الثاني ستة أشهر أخرى، مات بعدها، دفن الثاني قرب الأول تماماً.

فيما بعد، استلم أحفاد الأول والثاني فاتورتي هاتفي جديهما، ولم يستغربوا أبدا تواضع مبلغهما المالي.

صفية

في المخيم ماتت الحاجة صفية (98 عاماً)، لن يوقف سيارات الأجرة في المخيم أحد بعد الآن ليقول للسائق: على يافا يما هذا (الأوتنبيل)؟

Twitter: @ketab_n

شخص

ثمة شخص رائع يموت الآن في مكان ما من العالم، وحدها الصدفة من لم تجعله صديقي.

قواعد

لم يكتشف الأولاد في الصف لماذا يخفت صوتي حد الهمس في حصة القواعد ولماذا يعلو في حصة الكتابة حد الغناء.خلف مدرستي مقبرة، في المقبرة صديق لي أحبه، مات قبل شهرين، كان صديقي يكره حصة القواعد ويعشق حصة التعبير، «يا أصحابي لا تموتوا خلفي تماماً».

نعناع

اشتقت لستي مريم، قبل سبعة عشرين عاماً، ماتت أمامي متأثرة بحريق شبّ في ذكرياتها ذات صيف، آخر كلماتها لي كانت: دير بالك على النعنعات يا ستي. ولم أعرف حتى اللحظة هل كانت تقصد نعنعات قريتها المسروقة أم نعنعات المخيم؟.

Twitter: @ketab_n

جثة

أفكر الآن في المياه التي لامست جثة «فرجينيا وولف» وهي تهوي في قاع النهر عام 1941.أما زالت هناك؟ أم مشت إلى جثة أخرى في مصب بعيد؟

يا للمياه حين تكون شاهدةً على موتنا أو حين تكون موتنا!.

لا أصدق أن الماء يمكن أن يقتل، وإن حدث وقتل فهو لا يقصد،هو مجرد طريقته في الحب.

الموت في الماء ليس موتاً، هو مجرد سوء تعبير.

قمح

كنتُ كسرة خبز يابسة، مرمية على صيف الرصيف، حين مررتِ أنت بكامل شتائك وغموضك، وابتعادك، ودون حتى أن تنتبهي لوجودي، رأيتُ نفسي حقل قمح كامل.

Twitter: @ketab_n

إبط

في طريقها إلى المدرسة رأيت طفلة سعيدة وصغيرة تمر من تحت إبط شجرة هادئة وكبيرة، فأجهش صباحي بالشمس. في طريقها إلى الحياة، رأيت شجرة صغيرة، وهي ابنة الشجرة الكبيرة، تمر من تحت إبط المرأة، التي كانت طفلة، فأجهش مسائي بالجمال. في طريقي إلى موتي، رأيت الحياة شجراً وأطفالاً، يكبرون ويمرون من تحت آباط بعضهم البعض، فأجهش موتي بالسؤال.

عضلة

كهلاً ووحيداً وسط شباب صغار في ناد رياضي، أدرب عضلة قلبي على ضعف أمام عينيك قادم.

حمّى

في (زرياب) برام الله قبل 20 عاماً نسيتُ يديّ في حمى مساء حب لاهب

Twitter: @ketab_n

على الطاولة التي قرب النافذة. حين عدتُ في الليلة نفسها لاستردادهما، فوجئت بصديقتي التي كانت تجلس معي تعود هي الأخرى تسأل عن يديها اللتين نسيتهما مثلي.

وقتٌ طويل مضى حتى فهمنا صديقتي وأنا، أن أيدينا الهاربة ما هي إلا نصوصنا الجميلة التي تنفصل عنا وتمضي إلى حياتها الخاصة.

خدائع

صباح الخير لأجمل وأطيب خدائع أمي: بعد أربعين عاماً وبينما كنت أشارك أهل صديقة ريفية قطف ورق القرنبيط في صباح قرنبيطي وادع، عرفت أني تعرضت طيلة هذه السنوات لأجمل خديعة في العالم، كانت أمي (تلف) لي ورق القرنبيط على أساس أنه ورق الملفوف الذي أعبده، وذلك لغلاء الملفوف أو عدم وجوده في السوق، قلت لأمي مرة أني كنت في حياة سابقة حقل ملفوف، وكانت هي تضحك وتقول: وماذا كنت أنا؟ فأجيبها: كنت أنت يا أمي

Twitter: @ketab_n

فلاحة يبوسية مهمتك رعاية هذا الحقل، كانت تضحك منتشية بهذه الدور.

كنت ألتهم اللفائف المخادعة اللذيذة وأقول لها: لو كان العالم ملفوفاً لأكلته. وكانت اليبوسية السبعينية تبتسم ابتسامة قرنبيطية هادئة وتقضم الوقت بتلذذ، فكهلها، الحقل السمين يجلس قربها سعيداً،وما زالت هي راعية هذه الشهية المتأججة. صباح أجمل الخدائع يا أجمل اليبوسيات.

حقيبة

كلما تعثرتُ صدفة بحقيبة سفري أثناء تنظيف مفاجئ في بيتي، سال من يدي مطار لا تنادي في ممراته موظفةٌ على اسم بلادي.

حمامتان

حمامتان تتحركان أمامي بحرية وأمان ومرح: إلهي، ألهذه الدرجة أنا غير موجود!.

Twitter: @ketab_n

تواطؤ

ألستِ أنت من سمعتكِ تتحركين في بطن أمك، حين وقفت أمي الحامل بي آنذاك، مع هذه المرأة الحامل بكِ، معاً بتواطؤ رائع لصدفة ما، بالقرب من إشارة مرور حمراء، لمشاة ما، في شارع ما، في مدينة ما، ألستِ أنت؟.

وحدنا من امتلكنا من بين أجنّة العالم ذاكرة ما قبل الميلاد.

عزلة

ألقمها ورداً وكتباً وصمتاً وموسيقى ومساءات، فتشبع وترضا عني مقعية وغافية جانبي بسلام كلبة. أدربها على القفز في حضني عاضاً كتفها بطيبة وحماسة جد تسعيني، تنسى وصاياي «إياك وقلبي يا كلبتي الحلوة» فتخونها، وتنقر جمر قلبي بمنقارها المدلل، وتموت احتراقاً فوراً فأنفجر رماداً ومدناً وحروباً.

طائر جميل وأحمق هو عزلتي!.

Twitter: @ketab_n

زهو

المرأة التي مسّت بعينيها أو فستانها أو ابتسامتها مكاناً ما في طريقها إلى مكان ثان لا تعرف أبداً أنها حبلت في المكان الأول بجنين اسمه الزهو.

ياه، كم من أجنة الزهو الزاهرة سقطت سهواً من ابتسامات النساء في طرقهن؟.

حب

سأحبكِ يا صغيرتي اليوم على طريقتي.

سأهديك حمامات صباح شارع ركب، وزيارة لقبور شهداء لا نعرفهم شخصياً، وديوان قديم لسركون بولص، وسيرة ذاتية فضائحية جداً ولم تنشر لمارك توين، وتفاصيل حكايتيّ السريتين مع الله ورعشة ساقي الأولى، ووشاحاً أندلسياً لم يكن هناك وقت لتلبسه والدة أبي عبد الله الصغير، وجولة مشمسة في ريف رام الله بحثاً عن آخر رغيف طابون ستخبزه هٰذا الصباح آخر فلسطينية عجوز

Twitter: @ketab_n

مريضة في آخر قرية فلسطينية صمدت أمام عصر الكذب حتى آخر رمق.

هو

هو نفسه، والله، هو نفسه، الذي رويت لكم قصة وقوعه مغمى عليه جوعاً بين الطلاب تضامناً مع أبيه المضرب عن الطعام، هو نفسه الذي سقطت من جيبه في ساحة المدرسة صورة أبيه، هل تتذكرونه؟ هو نفسه الذي أحببتموه كما أحببته، وبكيتم من أجله كما فعلتُ، وصليّتم لانتصار معدة أبيه الأسير العنيدة كما صلّى شعبنا جميعاً، هو نفسه الذي سرق صباح اليوم مفتاح كافتيريا المدرسة من جيب صاحبها وطوّح به بعيداً باتجاه حقل الزيتون، ظلّت أسباب فعلته مجهولة، ورفض بشدة الاعتراف بالسبب، وعلى الرغم من أن صاحب الكافتيريا حلّ المشكلة مؤقتاً، كاسراً القفل بطريقته ليبيع الساندويشات للطلاب والمعلمين، إلا أن فضولي قتلني لأعرف لم فعل ذلك؟.

Twitter: @ketab_n

دخلتُ على صفحته الفيسبوكية قبل قليل، واجهتها صورة لطفلة فلسطينية ماتت من الجوع في مخيم اليرموك، وقرأتُ تحت الصورة تعليقه: «الله يرحمك يا ندى يا بنت عمي».

وفي بوست لاحق كتب: «سأسرق مفاتيح مطاعم بلادي كلها وألقي بها في مهاوي العار، لا أطيق أن يأكل أحد من الناس هنا ما دام أولاد عمي يونس يموتون جوعاً هناك».

هو نفسه، هو نفسه، هو نفسه.

صحو

وحين تغفين في الليل على غلاف كتابي يصحو كتابي.

Twitter: @ketab_n

طابور

أمس ليلاً خرجت من بيتي المعتم، زاحفاً تقريباً على بطني لأشتري خبزاً وشموعاً، كان الثلج أمام بيتي يشبه سوراً، بعد ساعتين كنت أقف في طابور طويل أمام دكان صغير مضاء من الداخل بشمعتين صغيرتين، وبعده وقفت في طابور الفرن، المضاء بنار الفرن نفسه لا غير، عدت تحت تساقط عنيف للثلج بعد ثلاث ساعات منهكاً شبه مشلول الساقين ومكسور الظهر، أضم لصدري خمسة أرغفة شهية وحفنة من الشموع، بصعوبة وضعت المفتاح في الباب، أدرته فلم يفتح، حاولت لساعة كاملة دون جدوى، ارتميت على ظهري مطوحاً الخبز والشموع في الفضاء الأبيض، وصارخاً بغضب وحشي: ليش هيك يا الله؟.

بعد ساعة ونصف فُتح الباب، دخلتُ بسرعة زحفاً وأنا ألهث دون شموع وخبز.

جلستُ على الأريكة في حضن العتمة الفائضة وأنا أتذكر فجأةً أطفال مخيم الزعتري الذين لا أبواب لهم ليحاولوا على الأقل فتحها، خجلتُ من نفسي زحفت إلى

Twitter: @ketab_n

السرير، دفنتني تحت أربعة ألحفة ثقيلة، ثم حاولت أن أقتل خجلي وظلامي والوقت نوماً.

طلاب

في الثلج أحب أن أصدق أنك لست مخلصةً تماماً لذكريات صيفنا وخزانة ملابسنا المشتركة، وأرغب بشدة في تركك تخرجين في عز العاصفة عند أول غضبة شرسة منك.

نعم، أنت تطيلين النظر إلى نوافذ الطلاب الجامعيين أمام بيتنا، ثم أعشق مشهداً لم يكتبه ضد أحد بعد: عاصفة بمعطف جلدي أسود تجتاح عاصفة بمعطف قطني أبيض.

حلوة

ماتت المرأة الحلوة التي أحبت كل الأشياء والناس بشكل غير طبيعي.

لم تمت بشكل طبيعي، ماتت من ألم اسمه التصديق.

Twitter: @ketab_n

موعد

ذاهب إلى موعد عاطفي مع سيدة من دموع وذهب هي أمي، ذاهب ليس لأني جائع كعادتي، بل لأطعمها مجيئي.

موسيقى

الموسيقى يا صغيرتي ليست أنتِ، الموسيقى امرأة أخرى تحلم بأن تصير أنتِ.

شتيمة

أن أشتم عينيك الباذختين المدللتين، أن أسبّ سيارتك الوقحة، وأحرّض أطفال الحارة على ثقب إطاراتها بحجة أنك لا تقاطعين البضائع الإسرائيلية، وأن أكسر زجاجها بنفسي في منتصف ليلة جنون، أن أسخر من طريقتك المضحكة في التدخين، وفي الضحك مع صاحب محطة البنزين ذي الأسنان الأمامية المرعبة، وأن أتوسل

Twitter: @ketab_n

ليديك أن تتضامنا معي لترتخيا فجأةً وأنت تشربين الشاي الساخن ليندلق على ركبتك، تلك هي طريقتي في حبك.

فهم

شخص ياباني قصير جداً على طاولة إلى جانبي، قلت له من أي مدينة أنت هناك، فرد بكلمة لم أفهمها، قال لي شيئاً لم أفهمه، فقلت له أهلاً، فلم يرد، مرت امرأة حسناء بيننا، نظرنا إليها معاً مندهشين، تبادلنا النظرات المطمئنة، وابتسمنا، أشعل هو من حاسوبه المحمول موسيقى يابانية فابتسمنا معاً، وفهمنا.

بيانو

هي لا تعزف لي، هذا ما أعرفه. لمن إذن تعزف على البيانو جارتي الصغيرة؟ هذا ما لا أعرفه. منذ ثلاث سنوات وهي تعزف، منذ ثلاث سنوات وأنا لا أعرف، هذا المساء عرفت.

Twitter: @ketab_n

كانت تعزف لصديقة عمرها التي ماتت بالسرطان قبل ثلاث سنوات

«هل تعديني بعزف يومي مسائي لعشرين عاماً بعد انتقالي؟» وقفت مصدومة أمام نافذة الغرفة وراحت تهز رأسها بشكل متكرر. انخرطت ممرضة بالصمت، تنهدت حنجرة طبيب، وسقطت علبة دواء مريض مجاور.

يا رب أطل في عمري وعمر العازفة لثمانين عاماً، أريد أن أشهد لحظة نهاية العزف، لأعد العازفة الجميلة بعزف ليلي ليديها حتى ثمانين عاماً قادمة.

جريمة

هي ذاتها الغيمة الكبيرة والممتدة دون انقطاع فوق مستوطنة «بيت إيل» ومخيم الجلزون. الغيوم ترتكب الجرائم أيضاً.

Twitter: @ketab_n

كيف

كيف أصدّق شخصاً لا يبكي في الليل؟

كذب

في مقهى أبو العبد في صيدا اقترب النادل الحيفاوي هاني وقال لنا متحمساً: الشاب الثالث الذي معكم أحضر لي تراباً من فلسطين. استغربت وصديقي، فقد نسي هاني أنه قال لنا هذا الكلام في زيارتنا السابقة لصيدا.

فيما بعد عرفنا أن هاني الحزين الجميل يمضي وقتاً طويلاً في البحث عن فلسطينيين قادمين من فلسطين ليخبرهم «كاذباً» أن رجلاً غائباً بينهم أرسل إليه قبضة تراب من فلسطين.

أحبك هاني أجمل الكاذبين.

Twitter: @ketab_n

فوبيا

ليس لديّ فوبيا ممرات ضيقة، لديّ فوبيا كرامة محطّمة، لم أستطع أن أقف مع الواقفين في الممر الضيق جداً جداً في معبر قلنديا بانتظار أدوارهم للتفتيش، حشرت جسمي حشراً لأقل من ربع دقيقة وحين لمحت من وراء السياج جندياً يتثاءب وسع يديه وفمه وعينيه، عدت إلى رام الله، وهناك حاولت أن أتثاءب مثله وسع يديّ وعينيّ وفمي، فارتطمت يداي بيديّ شرطي فلسطيني كان ينظم بهدوء غريب فوضى المدينة.

سوق

في سوق العطارين بالقدس، ظهيرة أمس، رأيت برفقة الأصحاب تجمعاً بشرياً كبيراً حول رجل يبيع مسحوقاً أبيض رشت عليه مادة حمراء، فجأة سمعت كلمة (نعّومة) فتذكرتها على الفور: (النعّومة): مسحوق القضامة الممزوج بالكزبرة والسكر، المشهد كان غائراً في قاع الذاكرة، الآن انفجرت تفاصيله وأصابت شظاياه ملامح الأصحاب والمارة:

Twitter: @ketab_n

على سطح بيتنا في المخيم، بعد إفطار رمضاني دسم، تذكرت صورة جدي وجدتي وهما يضعان ذلك المسحوق الأبيض على لسانيهما ويمتصّانه بتلذذ.

كنت أظنه طحيناً وأستغرب كيف يتلذذان بطعم الطحين؟

وسمعت روح المكان تقول لروحي: عليك أن تجيء إلى القدس، فقط إلى القدس بأسواقها وصيحات بائعيها، ودرجاتها وحاراتها وروائحها.

أيديولوجية

لا أيديولوجية لورد الياسمين، تعطي قلبها لكل عابر حتى لو كان مجرم حرب كـ(باراك) مثلاً، قبل أيام في الواحدة ليلاً، راقبت جنود الاحتلال وهم يلوذون بسحرها، أمس راقبت رجلاً ملتحياً يلتقط أنفاسه تحت إبطها، قبل أيام شاهدت عاشقين يثرثران مع رائحتها، قبل ساعة بالضبط رأيت حارس البناية الفقير يتعشى على بذخ صوتها، غداً

Twitter: @ketab_n

مساءً، سوف تجلس بين يديها الكريمتين امرأة متسولة، منتظرة رجلاً ثرياً يمر.

لا أيديولوجية للياسمين. هل هذا جيد؟ لا أدري.

مسمار

أهي مصادفة أم أن ذاكرة الظلم والقمع تعيد إنتاج ذاتها معي بأشكال أخرى لأهداف غامضة: للمرة الثالثة، كلما جئت إلى عمان جلس خلفي في الحافلة رب عمل شرير يتكلم على (الموبايل) بصوت بشع ومرتفع مع عماله أو موظفيه موبخاً ومحذراً إياهم من الفصل والخصم.

أتذكر رب عمل لي في زمن قديم جداً كان متخصصاً في مراقبتي وتهديدي وشتمي واتهامي بالكسل والتباطؤ في نزع مسامير قطع الخشب الطويلة من جدران البيوت وسقوفها.

عاد رب عملي على شكل رب عمل آخر لمظلومين آخرين.

Twitter: @ketab_n

صعق الجالس بجانبي من صيحتي وأنا أخلع حذائي متفحصاً قدمي، كان مسمار قد انغرس في باطن قدمي.

في كل مكان تطاردني ذاكرة المسامير، حتى في الحافلات.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

فهرس

كروان 5
شجر 8
أختي 9
فراق 10
حكايات 11
باريس 11
نسر 12
قرض 12
سائق 13
موكب 14
يافا 14
متسول 15
زيت 16
ألوان 17
غضب 18
شمس 19
مصطفى 19
مصافحة 20
أرجوحة 21
سادسة 22
فيضان 22
أنا 23
باب 24
امرأة 24
سقف 26
ملل 27
انكسار 28
عناق 30
خروج 30
ليل 31
شارع 32
ثلج 33

Twitter: @ketab_n

دموع 33
سعادة 34
يد 34
خيانة 35
قلب 35
حب 36
مخيم 36
حزن 37
صباح 37
غزة 38
ثلاثة 38
فيروز 39
مسبح 41
أغنية 42
همهمة 42
صفقة 43
طريق 54
89 44
برابرة 44
توتر 45
عمال 46
غناء 47
مساء 48
تعاسة 48
بتلة 49
مستحيل 49
سِيدي 51
نقطة 52
قهوة 53
طيون 54
جنوب 56
غادة 57
صيف 58
خمسة 59
شتاء 60
جدائل 61
جائزة 62

Twitter: @ketab_n

ليس مهماً 65
ارتباك 66
إنسان 66
خجل 67
حرب 68
دموع 68
غيوم 69
صحة 69
ركض 70
وقاحة 70
مأساة 71
عين 71
اسم 72
صديق 73
شوك 73
زمن 73
غابة 74
عيناك 74
جيتار 74
فنون 75
سقوط 75
بكاء 75
سحر 75
منفى 76
أم 76
مخدة 77
ظلال 78
رقم 78
فوضى 79
مرور 79
قبر 79
هيفاء 81
زواج 83
ثلاثة 85
لا عثور 86
صديقان 87
صفية 88

Twitter: @ketab_n

شخص 89
قواعد 89
نعناع 89
جثة 90
قمح 90
إبط 91
عضلة 91
حمّى 91
خدائع 92
حقيبة 93
حمامتان 93
تواطؤ 94
عزلة 94
زهو 94
حب 95
هو 96
صحو 97
طابور 98
طلاب 99
حلوة 99
موعد 100
موسيقى 100
شتيمة 100
فهم 101
بيانو 101
جريمة 102
كيف 103
كذب 103
فوبيا 104
سوق 104
أيديولوجية 105
مسمار 106

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

THE WAITER´S MISTAKE

خطأ النادل

أخطأ نادل مقهى بيت الدرج برام الله حين تجاوزنا، على غير عادته، ليعطي فنجانَي قهوتنا لعجوزين ثمانينيّين يجلسان على الطرف الآخر من دوّار الساعة، وحين سألناه محتجّين على فعلته الغريبة، ابتسم بهدوء، وواصل طريقه إلى زبائن آخرين.

مشيت باتّجاه العجوزين المنهمكين في حوار هامس بلا أسنان. ألقيت عليهما سلام دهشتي وارتجاف قلبي. طويلا وقفت أمامهما مصدومًا، أخرس القدمين، لا أعرف إن كان صديق دواري وقهوتي وذكرياتي وسرّي ومساءاتي قد صدّقني حين عدت إليه:

«لم يخطئ النادل يا صديقي. لم يخطئ. لقد أعطانا قهوتنا بعد ثلاثين عامًا من الآن».

ISBN 978-9957-39-056-3

9 789957 390563

الأهلية

الأردنّ، عمّان، وسط البلد، بناية 12، وبناية 34
ص.ب 7855 هاتف 4638688 6 00962
فاكس 4657445 6 00962 ◆ منشورات 2015
الغلاف: [illegible] ® ☎ 95297109 7 00962